نســـــاء

من أهل الجنة

عكاشة محمود عكاشة

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتاب: **نساء من أهل الجنة**
التأليف: **عكاشة محمود عكاشة**
موضوع الكتاب: **سيرة**
عدد الصفحات : **208**
عدد الملازم : **13**
مقاس الكتاب : **14 × 20**
عدد الطبعات : **الطبعة الأولي**
الإيداع القانوني : **2015/26052**
الترقيم الدولي : **I.S.B.N.978/977/278/512/4**
الصف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر
darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01152806533 - 01012355714

1437 هـ
2016 م

نساء الجنة صنفان

(1) الحور العين

الحور العين: وهن خلق مخلوقات لأهل الجنة وصفهن الله تبارك وتعالىٰ في كتابه العزيز بأنهن

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨﴾ [سورة الرحمن] .

﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣﴾ [سورة الواقعة].

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [سورة الصافات].

وهن نساء نضرات جميلات ناعمات لو أن واحدة منهن اطلعت علىٰ أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما عليها وللمؤمن منهن ما لا يعد ولا يحصىٰ.

(2) نساء الدنيا المؤمنات :

اللاتي يدخلهن الله الجنة برحمته وهؤلاء هن ملكات الجنة وهن أشرف وأفضل واكمل وأجمل من الحور العين ففي حديث رسول الله ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها أن فضل نساء الدنيا علىٰ الحور العين كفضل ظاهر الثوب علىٰ بطانته وقد أعد الله لهن قصورًا ونعيمًا ممدودًا أعطاهن الله شبابًا دائمًا وجمالًا لم تره عين من قبل .

(من حديث رواه الطبراني)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله أسبغ النعم، وكفىٰ النقم، تفضل علىٰ المحسن بالأجر، وعلىٰ المسيء بالمغفرة والستر، من توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، لا معبود بحق سواه، ثم الصلاة والسلام علىٰ الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، إلىٰ يوم يحشر العبد لمولاه، فيسرّ من اهتدىٰ بهداه، ويندم من فرط وعصاه... وبعد:

نعمة من المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن تملأ فراغك بما ينفعك فلا تغبن، وأن تصحب الخير وأهله وبه ترهن، تنهل من معينهم العذب الزلال، وتتحلىٰ بما تجملوا به من طيب الخصال، ترفع الهمة، لتستقر بنفسك علىٰ أعلىٰ قمة، تصقل المواهب، وتجلو المتاعب، تجلب السعد إليك، وتظهر للناس ما لديك، تتلو آية، وتقرأ حديثًا، وتصغي إلىٰ نصح، ترىٰ القدوة المثلىٰ، لترىٰ نفسك كل يوم مما قبله أعلىٰ، تفيد وتستفيد، من رأي سديد، أو قول صائب، وطرح خالٍ من الشوائب، في زمنٍ غيرك في الطرقات يتيه، يصاحب الغوي ويستهديه، فيندم عما قريب علىٰ ما فاته، ويتحسر بعدما ضيع حياته ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الفرقان].

ـ فما أحوج شباب وفتيات هذه الأمة في هذا الزمان المليء بالكثير من الصعوبات والمزدحم بالكثير من المشاكل في شتىٰ المجالات، ما

أحوجنا إلىٰ ما يعيننا بعون الله علىٰ تجاوز هذه الصعوبات وتلك المشاكل، إنه (الصبر)، نعم.. إنه (الصبر)، ولكن ليس أيَّ صبر، إننا في أشد الحاجة إلىٰ أجود وأفضل أنواع الصبر، ألا وهو: (الصبر الجميل) وهو الصبر مع الرِّضا، وحسن الظن بالله، والعزيمة والإرادة القويَّة؛ للتغلُّب علىٰ كل الصعوبات والمشاكل والابتلاءات.

حقًّا، نحتاج للعودة قليلًا إلىٰ ماضينا الذهبي والنظر إلىٰ من سبقونا من خير عباد الله، ونرىٰ كيف كان صبرهم الجميل علىٰ كل ما يواجههم من عظيم الابتلاء في حياتهم كلِّها، وذلك إيمانًا منهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ [الزمر] ، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة:153] .

ـ هيَّا بنا سويًّا نسترجع سيرة نساء جليلات يضربن لنا أروع الأمثلة في الصبر والتحمل ليكونا من نساء أهل الجنة، فنقتدي بهن في صبرهن وثباتهن وإيمانهن وحسن ظنهن بالله عزوجل.

ـ هيا بنا نقول لكل فتاة وامرأة مسلمة قول الشاعر:

كوني نسيبة في الشجاعة ... أو سمية في الثبات
كوني كخولة في الإباء ... ولا تبالي بالطغاة
كوني كخنساء التي ... نقشت لنا مجد الحياة

ـ وهذا جهد الضعيف الذي جمع تلك الكلمات عن هؤلاء البطلات من هنا وهناك ليصيغها بهذا الأسلوب، داعيًا ربه أن يتقبل ويجعله علمًا نافعًا، وأن يجزي كل من كتب أو نشر أو قرأ أو علق أو

استفاد وطبق خيرَ الجزاء، وأن يغفر الذنب ويستر العيب في الدنيا والآخرة.

كتبتُ وقد أيقنتُ يوم كتابتي ... بأن يدي تفنىٰ ويبقىٰ كتابها
فإن عملت خيرًا ستجزي ... وإن عملت شرًّا علىٰ حسابها

اللهم اجعلنا من ورثة جنتك وأهلًا لنعمتك وأسكنا قصورها برحمتك وارزقنا فردوسك الأعلىٰ حنانًا منك ومنًّا وإن لم نكن لها أهلًا فليس لنا من العمل ما يبلغنا هذا الأمل إلّا حبك وحب رسولك ﷺ والحمد لله رب العالمين.

وأخيرًا أهدي هذا الجهد
لابنتي الغالية العزيزة (نسيبة)

طالب الدعاء
أبو نسيبة عكاشة عباد

1

الرميساء بنت ملحان تمشي في الجنة

قال الرسول ﷺ : «**دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة فقلت: من هذا؟! قالوا: الرميساء بنت ملحان**» .

ها وأسرتها

** هي.. أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن النجار إلىٰ بني الخزرج، وتُلقَّب بالغميصاء أو الرميصاء أو الرميساء.

والخزرج إحدىٰ القبيلتين العربيتين الرئيسيتين اللتين كانتا تسكن يثرب قبل هجرة النبي محمد ﷺ إليها، وقد اختلف في اسمها فقيل سهلة، وقيل رميلة، وقيل رميثة، وقيل مليكة.. أما لقبها فقيل العميصاء، وقيل الرميصاء.

** أبوها.. مِلْحان بن خالد، ذكره صاحب الإصابة بأن النبي محمدًا ﷺ قال: قتل أخوها وأبوها معي. دون تحديد لقصة مقتله، وهو ما ذكره مسلم في صحيحه دون ذكر كلمة «أبوها».

** أمها.. مُليكة أو أُنيقة بنت مالك بن عدي بن عمرو بن مالك ابن النجار.. أدركت الإسلام، وأسلمت.

** أختها الأولىٰ.. أم حرام زوجة الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنهما، التي توفيت في غزو قبرص في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

** أختها الثانية.. أم عبد الله بنت ملحان، وقيل إنها أسلمت

وبايعت النبي محمدًا ﷺ .

** أخوها الأول.. سليم بن ملحان بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد بدرًا وأحدًا، واستشهد يوم بئر معونة.

** أخوها الثاني.. حرام بن ملحان بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الشعراء، وأحد القراء السبعة، وشهد بدرًا وأحدًا، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ عامر بن الطفيل، وهو القائل عندما طعن من خلفه برمح: فزت ورب الكعبة.

** زوجها الأول.. مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي، وقد تزوجته قبل إسلامها، وقُتل، ولم يسلم.

** زوجها الثاني.. أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وله قصة).

** ابنها الأول.. البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما زالت تربيه علىٰ الإيمان والرجولة حتىٰ بلغ الغاية فيهما.

فكان مؤمنًا تقيًّا خفيًّا، حتىٰ قال النبي ﷺ فيه: كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم علىٰ الله لأبره منهم البراء بن مالك (1).

** ابنها الثاني.. أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خادم رسول الله ﷺ (وله قصة) .

** ابنها الثالث.. زيد بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكنىٰ بأبي عمير، وهو صاحب قول الرسول ﷺ : يا أبا عمير، ما صنع النغير؟، يقول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ :كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَىٰ أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ

(1) رواه الترمذي .

حَزِينًا، فَقَالَ :«مَا شَأْنُهُ؟» قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ . فَقَالَ:«**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» (1) .

❁❁ ابنها الرابع.. غلام لأبي طلحة الأنصاري الذي توفي صغيرًا، وقد اختلف في اسمه (وله قصة).

❁❁ ابنها الخامس.. عبد الله أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كبار التابعين وكان له عشرة بنين، كلهم قد ختم القرآن وكلهم حمل منه العلم، وعاش حتىٰ قُتل في فتوح فارس.

إسلامها:

❁❁ الرميصاء أو (الرميساء) ـ أم سليم بنت ملحان ـ عاشت في بداية حياتها كغيرها من الفتيات في الجاهلية قبل مجيء الإسلام، كانت ذات أنوثة وجمال تزينها رزانة وسداد رأي، وتتحلىٰ بذكاء نادر وخلق كريم حتىٰ غدت حديث (طيبة) يُشار لها بالبنان. ولهذه الخصال الحميدة سارع ابن عمها مالك بن النضر فتزوجها.

❁❁ لما أَذِنَ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالإسلام، وظهرت شمسه في الأفق، واستجابت وفود من الأنصار أسلمت الرميصاء بنت ملحان علىٰ يد مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع السابقين إلىٰ الإسلام.

❁❁ كان مالك بن النضر زوجها غائبًا لما أسلمت الرميساء، فلما رجع وعلم بإسلامها، قال لها بغضب بالغ: أصبوت؟ فقالت بيقين ثابت: ماصبوت. ولكني آمنت بهذا الرجل.(صبَأَ الرَّجُلُ: ترك دينَه ودَان بدين آخر).

(1) سنن أبي داود .

فغضب عليها، وثار ووقف في وجهها، ولكنها لم تتراجع.

❊❊ رآها زوجها مالك يومًا، وكانت تلاعب ولده أنسًا الصغير الرضيع، وتقول له: أسلم يا أنس، قل لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال لها: لا تفسدي علي ابني!

فقالت: إني لا أفسده. بل أعلمه وأهذبه.

✍... قف

وهذا هو واجب المرأة المسلمة؛ أن تعلم أولادها تعاليم الدين، وحب الدين وهم صغار، فيشبون علىٰ لا إله إلا الله محمد رسول الله.

❊❊ لم تعبأ الرميساء بما قاله زوجها، بل راحت تغرس الإيمان فىٰ نفس ابنها أنس، فأسلم مثلها، وكانت الرميساء تمتاز بعزيمة أقوىٰ من الصخر، ومالك زوجها كان قد عشّش الشيطان في رأسه، فلم يقبل هدْي الله، وحاول أن يردها عن إسلامها، فأبت عليه.

❊❊ لما يئس مالك بن النضر من زوجته الرميساء ولم يستطيع أن يردها عن الإسلام، فضاق ذرعًا بها، وخرج من البيت غاضبًا وتوعدها، ولكنه وجد أن المدينة صارت دار إسلام، ولن يستطيع أن يواجه تلك الدعوة؛ لذا خرج متوجهًا إلىٰ الشام تاركًا زوجته وابنه وداره والمدينه كلها، ولكنه لم يصل إلىٰ الشام فقد لقيه عدو له فقتله.

❊❊ لما علمت الرميساء بمقتل زوجها مالك بن النضر احتسبت، وقالت: لاجرم، لا أفطم أنسًا حتي يدع الثدي، ولا أتزوج حتي يأمرني أنس.

✍... انتبه

اختيار أم سليم الأنصارية الإسلام علىٰ زوجها في ذلك الوقت المبكر ينبئ عن عزيمة أكيدة، وإيمان راسخ في وقت كان الاعتماد في تدبير البيت والمعاش وغير ذلك من أمور الحياة علىٰ الرجل، ولم تكن المرأة قبيل مجيء الإسلام تساوي شيئًا، فكونها أخذت هذا القرار من الانفصال بسبب الإسلام عن زوجها الذي في نظرها يعتبر كل شيء في ذلك الوقت، فيه دلالة علىٰ ما تمتاز به هذه المرأة المسلمة من الثبات علىٰ المبدأ مهما كلفها من متاعب.

ابنها خادم الرسول:

❊❊ لم يمض علىٰ بيعة العقبة الثانية وقتٌ طويلٌ حتىٰ سرىٰ في (يثرب) المحظوظة المغبوطة أن النبي ﷺ وصاحبه الصديق في طريقهما إليها، فغمرت البهجة كل بيت، وملأت الفرحة كل قلب، وتعلقت العيون والقلوب بالطريق المبارك الذي يحمل خطا النبي ﷺ وصاحبه إلىٰ (يثرب).

❊❊ أخذ الفتيان يشيعون مع إشراقة كل صباح: أنّ محمدًا قد جاء. فكان يسعىٰ إليه أنس مع الساعين من الأولاد الصغار، لكنه لا يرىٰ شيئًا فيعود كئيبًا محزونًا.

❊❊ وفي ذات صباح مبارك، هتف رجال في (يثرب) إن محمدًا ﷺ وصاحبه غدوا قريبين من المدينة، فطفق الرجال يتجهون نحو الطريق الميمون الذي يحمل إليهم نبي الهدىٰ والخير، ومضوا يتسابقون إليه جماعاتٍ جماعاتٍ، تتخللهم أسراب من صغار الفتيان تزغرد علىٰ وجوههم فرحة تغمر قلوبهم الصغيرة، وتترع أفئدتهم الفتية، وكان في

طليعة هؤلاء الصبية أنس بن مالك الأنصاري.

** أقبل الرسول ﷺ مع صاحبه الصِّدِّيق رضي الله عنه، ومضيا بين أظهر الجموع الزاخرة من الرجال والولدان، أما النسوة والصبايا الصغيرات فقد علون سطوح المنازل، وجعلن يتراءين الرسول ﷺ ويقلن: أيهم هو؟! أيهم هو؟!

فكان ذلك اليوم يومًا مشهودًا، ظل أنس بن مالك رضي الله عنه يذكره حتىٰ نيف علىٰ المائة من عمره.

** انشغل الأنصار ومن كان في المدينة من المهاجرين باستقبال النبي ﷺ فرحين مستبشرين بمقدمه ﷺ فجاء الجميع، وهاجس كل واحد منهم أن يتشرف برؤيته ﷺ وتنافس الجميع في أن ينزل النبي ﷺ عنده ليتشرف بجواره، فصار ذلك نصيب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، فأقبلت الأفواج علىٰ بيته لزيارته ﷺ ، حتىٰ أنه لم يبقَ رجلًا ولا امرأة من الانصار إلا وقد اتحفت النبي ﷺ بتحفة، وفكرت الرميساء بما تتحف النبي ﷺ ، نعم.. تتحف بأعز شيء عند المرأة، إنه الابن فلذة كبدها.

** تحركت الرميساء بنت ملحان أم أنس نحو بيت أبي أيوب الأنصاري، وكان معها غلامها الصغير أنس ابن العشر سنين، وهو يسعىٰ بين يديها، وضفيرتاه تتذبذبان علىٰ جبينه، ثم حيت النبي ﷺ وقالت: يا رسول الله، لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلا وقد أتحفك بتحفة، وإني لا أجد ما أتحفك به غير ابني هذا، فخذه فليخدمك مابدا لك، وادعو الله له، وإنه يعلم القراءة والكتابة.

فهش النبي ﷺ للفتىٰ الصغير وبش، ومسح رأسه بيده الشريفة، ومس ضفيرته بأنامله الندية وقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته، وقبله وضمه إلىٰ أهله.

ظل أنس بن مالك أو (أُنَيْسٌ)- كما كانوا ينادونه تدليلًا- يعيش في كنفه ﷺ ورعايته إلىٰ أن لحق النبي الكريم ﷺ بالرفيق الأعلىٰ. فكانت مدة صحبته له عشر سنوات كاملات، نهل فيها من هديه ما زكىٰ به نفسه، ووعىٰ من حديثه ما ملأ به صدره، وعرف من أحواله وأخباره وأسراره وشمائله ما لم يعرفه أحد سواه.

✍..غرائب العقول:

قال بعض قصيرىٰ النظر أن أم سليم إنما فعلت ذلك ـ أي تقدم أنس لخدمة النبي ﷺ ـ تخلصًا من أنس؛ لأنه كان من غير زوجها أبي طلحة الحالي، والزوج غالبًا ما يضيق ذرعًا بأولاد زوجته من غيره، وحاشا أن يكون ذلك من أم سليم، بل إن ابنها كان في نظرها كل شيء والدليل علىٰ ذلك:

1/ أن أنسًا كان يبيت ويأكل من بيت أمه، وكان مع النبي ﷺ في الأوقات التي يحتاج فيها إلىٰ الخدمة.

2/ أم سليم صاحبة فطنة وذكاء، وهىٰ ترمي من وراء ذلك أن يسعد ابنها في الدنيا والآخرة؛ حيث أن النبي ﷺ ما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لأنس بها.

3/ أنها لم تكن زوجة لأبي طلحة بعد.

أرأيتم كيف أن أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اعتنت بابنها اليتيم وأحاطته بكل

عناية، وحرصت عليه كل الحرص علىٰ أن يحصل علىٰ خير الدنيا والآخرة؟

✍... فخذه فليخدمك مابدا لك :

أ .أن خدمة النبي ﷺ من أفضل القربات التي يتقرب بها إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فأحبت الرميساء أن يسعد بهذه الخدمة ابنها وفلذة كبدها، ومن ثم لتنال هي وابنها أجرًا عظيمًا عند الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

ب .أن يتربىٰ ابنها أنس في بيت النبوة ليتخلق بأخلاق النبي ﷺ ويهتدي بهديه ﷺ، وتلك غاية من أشرف الغايات لا يفطن إليها إلا أولوا الألباب.

ج . أن يحوز أنس بسبب قربه من النبي ﷺ أكبر قدر من سنته ﷺ متمثلة في أقواله وأفعاله، فكان لها ما أرادت، فصار أنس من الصحابة القلائل المكثرين لرواية الحديث.

أرأيتم كيف أن أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اعتنت بابنها اليتيم وأحاطته بكل عناية، وحرصت عليه كل الحرص علىٰ أن يحصل علىٰ خير الدنيا والآخرة ؟ فما أعظمها من أم وأحسنها من مربية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها ـ.

فإذا كان هذا بر أم سليم بابنها فما تظنون أن يكون بر أنس بأمه، وذلك هو ما يفوق الخيال فكان أنس همزة وصل بينها وبين النبي ﷺ، ينقل إليها أقواله وأفعاله حتىٰ كأنها تشاهد رسول الله ﷺ كل حين، وكان النبي ﷺ يقرب أم سليم بسبب ذلك، فكانت معدودة من أهله تمشي مع نسائه إلىٰ درجة أنه كان يدخل بيتها في غيابها وينام علىٰ فراشها.

وهذا هو الذي ينبغي أن تكون عليه الأم المسلمة، أن تدفع بولدها إلىٰ أهل الخير والصلاح، لا أن تحذره منهم وتنفره لأن الأم التىٰ لا تصنع لابنها أسباب الحياة الشريفة يُصنع له الموت!، وأن الأم التي لاتعمل لابنها مايسعده وينفعه يُعمل له مايضُره ويشقيه!، والأم التي تتخذ الهوىٰ مركبًا تُغرق ابنها في اللجة!، والأم التي لا تكرم أبناءها بالعلم والتربية مُضيعة لرأس مالها!، والأم التي لاتجعل الأخلاق ملاك بيتها تتعجل هدمه ودماره وزواله، والأم التي تلد فتكل التربية لمن ليس أهلًا لها.. أمةٌ تلد العبيد لا تلد الأحرار الصناديد!

✍... وإنه يعلم القراءة والكتابة:

عندما أتت الرميساء ابنها أنس إلىٰ النبي ﷺ ليخدمه، أخبرته أنه كاتب، وهذه الميزة العظيمة لم تكن متوفرة إلا في النفر القليل من أصحاب رسول الله ﷺ ، مما يدل علىٰ فطنة أنس رضي الله عنه وذكائه منذ الصغر، فقد كان حينها لم يتجاوز العاشرة من عمره، وقد كان هذا الذكاء وهذه الفطنة من الأهمية بمكان؛ إذ حفظ وفَقِه وتعلّم من رسول الله ﷺ ، حتىٰ قيل إنه في المرتبة الثالثة بعد ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما في كثرة الأحاديث التي رواها وحفظها من رسول الله ﷺ ، ومسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم علىٰ مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين حديثًا.

✍... انتبه واعلم :

ويقول الإمام النووي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: اتفق العلماء علىٰ أنها

كانت مَحرمًا له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك. وقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدىٰ خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه.

زوجها الثاني

** مضىٰ الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير، فبالرغم من عدم وجود أب فالأم تربىٰ ابنها تربية خاصة، فقصد الخُطّاب بيت أم سليم للزواج منها، فقد كانت عاقلة لبيبة مرغوبًا فيها، وكان من بين الخطاب أبو طلحة (زيد بن خالد الأنصاري)، رجل من رجالات الأنصار المعروفين، ذو نجدة ومروءة وكرم وشجاعة، وقد اجتمع فيه من الصفات ما يجعله بعيدًا عن أن يرد.

** هف قلب أبوطلحة بالحب والإعجاب لأم سليم، وكان أبو طلحة علىٰ ثقة من أن أم سليم لن تؤثر عليه أحدًا من طالبيها، فهو في مستواها، كمال في الخَلق والخُلق، وشهامة ومروءة وشجاعة، كان هو أيضًا رجلًا مكتمَل الرجولة، مرموقَ المنزلة، طائل الثروة، وهو إلىٰ ذلك فارس بني النجار، وأحد رماة يثرب المعدودين. فهو كفءٌ لها إذا أراد الزواج منها.

** مضىٰ أبو طلحة إلىٰ بيت أم سليم، يبدو أن الحياة كانت بسيطة، وهو في بعض طريقه تذكّر أن أم سليم قد سمعت من كلام هذا الداعية المكيّ مصعب بن عمير، فآمنت بمحمد، واتبعت دينه، لكنه ما لبث أن قال في نفسه: وماذا في ذلك؟ ليس ثمة مشكلة، ألم يكن زوجها قد توفي عنها وهو مستمسكٌ بدين آبائه!، وعلىٰ عبادة الأصنام!، نائيًا

بجانبه عن محمد ودعوته. بلغ أبو طلحة منزل أم سليم، واستأذن عليها، فأذنتْ له، وكان ابنها أنس حاضرًا.

** طلب أبو طلحة خطبة أم سليم والزواج منها، وعرض عليها مهرًا كبيرًا غاليًا. إلا أن المفاجأة أذهلته وعقدت لسانه عندما رفضت أم سليم كلّ ذلك بعزة وكبرياء، وردته قائلة: إنك مشرك. ولا ينبغي أن أتزوج مشركًا. ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده هو حجر لا يضرك ولا ينفعك، أو نبت من الأرض شجرة نجرها حبشي بني فلان؟

قال: نعم.

قالت: أما تستحي أن تعبد إلهًا أخذت نصفه تعبده، وأخذ بنو فلان نصفه فأججوا به نارهم!؟

فكأنها حركت فيه شيئًا كان غائبًا، وعقلًا كان قد رضي بما كان عليه الآباء والأجداد، فأحس أبو طلحة بضيق شديد وقال لها: سأنظر في أمري.

** انصرف أبو طلحة وهو لا يكاد يصدق ما يرىٰ ويسمع، ولكن فكر في كلامها، وهي وتقول له: أما تستحي أن تعبد إلهًا أخذت نصفه تعبده، وأخذ بنو فلان نصفه فأججوا به نارهم؟

ولكن حب أبي طلحة الصادق للرميصاء جعله يعود في اليوم التالي إليها، ويُمنّيها بمهر أكبر وعيشة رغدة عساها تلين

فقالت بأدب جمّ: يا أبا طلحة، أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك.

فقال لها: والله ما هذا الذي يمنعك مني يا أمّ سليم.

قالت: وما الذي يمنعني إذًا؟!

قال: الأصفر والأبيض.. الذهب والفضة.

قالت: الذهب والفضة!

قال: نعم.

فقالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، ولكني أريد منك الإسلام، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسأل غيره.

قال: فمن لي بذلك؟

قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ .

فقال: أنا علىٰ مثل ما أنت عليه.

** انطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ فوجده جالسًا في أصحابه، فلما رآه قال: جاءكم أبو طلحة غُرة الإسلام بين عينيه.

أخبر أبو طلحة النبي ﷺ ، بما قالته أم سليم، وما شعر إلا بلسانه يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

** علمت أم سليم بإسلام أبي طلحة وإعلانه ذلك، فالتفتت إلىٰ ابنها أنس، وقالت له بسعادة بالغة: قم يا أنس، فزوج أبا طلحة.

فزوَّجها أنس من أبي طلحة، وكان صداقها: الإسلام.. وهكذا دخل أبو طلحة الإسلام علىٰ يد زوجته.

✍... فإن تسلم فذاك مهري :

إن زواج الرميساء في الإسلام هو العجب بعينه، ولم يتكرر في التاريخ مثله؛ لذا قال التابعي ثابت ابن سليم: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم!، كان مهرها الإسلام. أجل ليس هناك

مهر أعظم منه، لقد كان مهرها إسلام أبي طلحة، وهل هناك شيء أعظم من الإسلام؟! لا. ليس هناك شيئ يساويه أو يدانيه، لا الذهب ولا الفضة، ولا المال ولا الدنيا كلها. هذه موازين القلوب الحية التي تعمل لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، إنها نفوس تحب لله، وتبغض لله، وتعطي لله، وتمنع لله. وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : من أحب لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله، وأنكح لله فقد استكمل الإيمان[1] .

وهل كان ردها أبا طلحة إلا لله سبحانه؟ وهل وافقت علىٰ الزواج منه إلا لله سبحانه وتعالىٰ؟

ما أعظمه من مهر!.. إسلام رجل كافر .

فالرميساء كانت سببًا في دخول أبي طلحة في الإسلام، فحازت بذلك علىٰ الفضيلة التي وعد بها رسول الله ﷺ بقوله: فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم[2] .

لذا يجب علىٰ كل مسلمة، ألا تشترط علىٰ خاطبها أن يكون ذا مال وفير، أو قصور، أو وظيفة راقية، أو صاحب سيارة فاخرة، بل تشترطت الدين والإسلام.

✍... **انتبه واعلم:**

أم سليم أرخصت نفسها في سبيل دينها ومبدئها، وأنها استعملت الحكمة للوصول إلىٰ هدفها، فهي من جهة بينت لأبي طلحة ضلال ما هو عليه من عبادة الأشجار والأوثان، وذلك ما تستقبحه الطبائع السليمة، ومن جهة ثانية مدحته بما فيه من الخصال الطيبة وأثنت عليه

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه البخاري .

بقولها (مثلك لا يرد) .

- كلمة جامعة تتحدث فيها عن حسن خلق أبي طلحة.
- أدب في اللفظ، حتىٰ مع المشرك، تتضمن الإعتذار.
- إعطاؤه الأمل في طلبه بشرط إسلامه.
- أسلوب دعوة فيها الحكمة والموعظة الحسنة، تعجز أن تخرج مثله اليوم مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا.

العقل والحكمة :

كانت أم سليم من عقلاء النساء، وكانت ذات حكمة بالغة، وصبر جميل، فقد مرض ابنٌ لها من أبي طلحة مرضًا شديدًا، وقبل أن يخرج أبوه سعيًا وراء لقمة العيش، قبَّل ابنه وخرج، ولكن الموت رفرف علىٰ الغلام وأبوه غائب.

** فقدت «الرميساء» ابنها وفلذة كبدها، وثمرة حياتها، فلم تبكِ ولم تَنُحْ، بل صبرتْ واحتسبتْ الأجر عند الله، وقامت فغسلت ابنها، وكفنته، وصلت عليه أربع تكبيرات، وحفرت له قبره ودفنته، ثم قالت لمن حولها: لا ينعين إلىٰ أبي طلحة أحدٌ ابنه (أي لا يخبرنّ أحد أبا طلحة بوفاة ولده) حتىٰ أكون أنا الذي أنعاه له.

... قف:

هذا الموقف العظيم من أم سليم يبين كيف أن دين الإسلام كرم المرأة المسلمة، فقد كانت في الجاهلية إذا أصابتها مصيبة تشق الجيوب، وتضرب الخدود، وتدعو بالويل والثبور، واليوم تصبر وتحتسب، وتصبِّر زوجها وتحتسب عليه.

ويدل هذا الموقف علىٰ رجاحة عقلها وكمال فهمها، فأين نساء

المسلمين اليوم من هذا الخلق الرفيع؟

وهذا كقول الشاعر:

وَمَا المال والأَهلونَ وَدَائِعُ ... وَلا بُدَّ يَوْمًا أنْ تُرَدَّ الودائعُ

وهذا مستقىٰ من قوله ﷺ : «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطىٰ، وكل عنده بأجل مسمىٰ، فلتصبر ولْتحتسب**»(1).

✍... انتبه (وصلت عليه أربع تكبيرات)

اعلم أن الصلاة علىٰ الجنازة مشروعة للرجال والنساء؛ لقول النبي ﷺ : من شهد الجنازة حتىٰ يصلىٰ عليها فله قيراط، ومن شهدها حتىٰ تدفن فله قيراطان، قيل يا رسول الله: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين (يعني من الأجر) (2)، لكن ليس للنساء اتباع الجنائز إلىٰ المقبرة؛ لأنهن منهيات عن ذلك، لما ثبت في الصحيحين عن أم عطية رضي الله عنها قالت: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا. أما الصلاة علىٰ الميت، فلم تنه عنها المرأة، سواء كانت الصلاة عليه في المسجد أو في البيت أو في المصلىٰ، وكان النساء يصلين علىٰ الجنائز في المسجد مع النبي ﷺ وبعده.

❋❋ عاد أبو طلحة ليلًا للمنزل، وكان صائمًا، فما إن سمعت الرميصاء صوت زوجها، حتىٰ استقبلته بحفاوة وبوجه بشوش، فلما سأل عن الغلام المريض وعن أحواله قائلًا: كيف حاله؟

قالت له: يا أبا طلحة، إنه بات الليلة لا يشتكي تعبًا، نام نومًا هادئًا.

---

(1) رواه مسلم .

(2) متفق عليه .

✍... بات الليلة لا يشتكي تعبا، نام نوما هادئًا:

أم سليم كانت تبحث عن أسباب سعادة زوجها، وراحته، وإزالة النكد والحزن عنه؛ لذا استعملت المعاريض (التورية) لتحقيق هذا الأمر: بات الليلة لا يشتكي تعبًا، نام نومًا هادئًا، فما حكم التورية؟

يجواز استعمال التورية هو أن يتكلم الإنسان بكلام تخالف نيته ما في ظاهر هذا الكلام فله ظاهر هو المتبادر إلىٰ ذهن المخاطب، وله معنىٰ آخر مرجوح، لكن هو المراد في نية المتكلم فيظهر خلاف ما يريد .

وهذا جائز ولكنه لا ينبغي إلا للحاجة إذا احتاج الإنسان إليه لمصلحة أو دفع مضرة فليوار، وأما مع عدم الحاجة فلا ينبغي أن يواري؛ لأنه إذا وارىٰ وظهر الأمر علىٰ خلاف ما يظنه المخاطب نسب هذا المواري إلىٰ الكذب وأساء الظن به، لكن إذا دعت الحاجة فلا بأس، ومن التورية المفيدة التي يحتاج إليها الإنسان: لو أن شخصًا ظالمًا يأخذ أموال الناس بغير حق، وأودع إنسان عندك مالًا قال هذا مالي عندك وديعة أخشىٰ أن يطلع عليه هذا الظالم فيأخذه، فجاء الظالم إليك وسألك هل عندك مال فلان؟ فقلت: والله ما عندي له شيئ .

المخاطب يظن أن هذا نفي وأن المعنىٰ ما عندي له شيئ لكن أنت تنوي بـ ما (الذي) أي الذي عندي له شيئ، فيكون هذا الكلام مثبتًا لا منفيًّا، هذا من التورية المباحة بل المطلوبة إذا دعت الحاجة إليها .

❊❊ كانت أم سليم أعدت الطعام، فوضعته بين يدي زوجها فأكل،

ثم قام إلىٰ فراشه فوضع رأسه، ثم قامت فتطيّبت، وتصنعت له أحسن ما كانت تتصنّع قبل ذلك (أي تزيّنت وتجمّلت، وهذا من عظيم صبرها وإيمانها بالقضاء والقدر، واحتسابها عند الله)، ثم جاءت حتىٰ دخلت معه الفراش، ثم تزينت له زينة العروس لزوجها ليلة العرس وتطيّبت له، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب، وكان منه ما يكون من الرجل إلىٰ أهله، فأصابها ـ أي نال منها ما ينال الرجل من امرأته ـ.

❊❊ فلما كان آخر الليل تحيَّنت الزوجة الصابرة فرصة، فبادرته في ذكاء وفطنة بكلمات يحوطها حنان وحكمة، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا قومًا عاريّة لهم، فسألوهم إياها، أكان لهم أن يمنعوهم؟

فقال أبو طلحة: لا. ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلىٰ أهلها.

قالت: أتحزن يا أبا طلحة إذا أخذ الله منَّا عارية ؟، فإن ابنك كان عارية من الله عز وجل، وأن الله عز وجل قد قبضه (أي أن ابننا قد مات) فاحتسب عند الله ابنك.

فغضب، ثم قال: تركتني حتىٰ إذا وقعت بما وقعت به (أي من الجماع والجنابة) نعيتِ إلي ابني!" فاسترجع أي قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة] ، وحمد الله.

✍.. أتحزن يا أبا طلحة إذا أخذ الله منا عارية؟

فالأولاد عندنا عارية، وهم ملك لله عز وجل متىٰ شاء أخذهم. فضربت له هذا المثل من أجل أن يقتنع، ويحتسب الأجر علىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، وهذا يدل علىٰ ذكائها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلىٰ أنها امرأة عاقلة

صابرة محتسبة، وإلا فإن الأم كالأب ينالها من الحزن علىٰ ولدها مثل ما ينال الأب، وربما تكون أشد لضعفها وعدم صبرها.

** فلما أصبح اغتسل أبو طلحة، وخرج من البيت غضبانًا مسرعًا نحو المسجد، فلما صلىٰ مع الرسول الله ﷺ ، اتجه إليه، فأخبره بموت ابنه وما فعلته زوجته البارحة، فما أن سمع رسول الله ﷺ قولته حتىٰ قال: أعرستم الليلة؟

قال: نعم.

قال: اللهم بارك لهما في ليلتهما.

فكان ثمرة ذلك الصبر الفريد من نوعه، أن صار سببًا لدعاء النبي ﷺ لهما بالبركة فيما حصل منهما في تلك الليلة، فاستجاب الله لهما تلك الدعوة، فحملت من ذلك اللقاء فجاءت بابنهما (عبدالله).

✍...تحليل الموقف:

فلنتأمل هذه الأم التي ليست كسائر الأمهات، كيف ترىٰ صغيرها وفلذة كبدها وهو يذبل كالزهرة، ويرتعش ارتعاشته الأخيرة كالعصفور الصغير بين يديها، وهي تنظر إلىٰ وجهه النضير كيف غدا وقد فارقته الحياة، وتتفجر في قلبها ينابيع الأسىٰ وتنهمر دموع الشفقة والعطف والرحمة من عينيها، ولكنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لم تفعل إلا ما يرضي ربها متجهة إليه بالاسترجاع والاستغفار والذكر تبغي في ظلالهما الراحة والصبر والسلوان، ولم تفعل كما تفعل كل امرأة ثكلىٰ من أمهات الجاهلية الحديثة من النياحة والعويل ولطم الخدود وشق الجيوب.

ولم تسارع كما تفعل نساء اليوم باستدعاء من يأتي بزوجها من

عمله ليشاركها مصيبتها فتضيف إليه همًّا جديدًا إلىٰ جانب ما يكابده ويعانيه من هموم، ويرتفع صوتها بالندب والعويل كما هي عادة الجاهليتين القديمة والحديثة ليسمعها القرب والبعيد، فيأتي لمشاركتها ندبها وعويلها. أجل، لم تفعل الرميصاء شيئًا يغضب الله عز وجل، وإنما قامت بما تمليه عليها عقيدتها الراسخة تجاه هذا الحدث الجلل، فقامت إلىٰ صغيرها الغالي فغسلته ثم كفنته وسجته وغطته ودفنته بعد أن شمته وطبعت علىٰ وجنتيه قبلة أم ثكلىٰ أودعتها كل ما تملك من حزن وألم ودموع، ثم التفتت إلىٰ أهل البيت، قائلة: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتىٰ أكون أنا أحدثه.

فمن أي طراز هذه المرأة والأم العظيمة! وهل تملك الدنيا بأسرها أمًّا مثلها؟!

ومن ثم فلنتأمل موقف الزوجة الصابرة وهي تنتظر زوجها بعد أن جففت دموعها وابتلعت أساها خلف ابتسامة مشرقة تصنعتها لتستقبل زوجها كعادتها، وتدخل السرور إلىٰ نفسه المليئة بالهموم من خارج البيت، وعندما يسألها عن حال ابنه تقول بذكاء وفطنة: نام نومًا هادئًا. ويظن الزوج أن ابنه قد عوفي ففرح لذلك، وما إن كاد الليل أن يذهب حتىٰ أخبرته بأمر ابنه دون أن تفجعه أو تفقده ثواب الصابرين وأجرهم.

فبالله من أي طراز هذه المرأة الصالحة التي تحرص علىٰ ألا يراها زوجها إلا بأحسن وأجمل صورة حتىٰ في أحلك الظروف وأشدها، بينما نرىٰ نساءنا وقد أهملن أنفسهن فتستقبل الواحدة منهن زوجها

ورائحة المطبخ تفوح منها، وتظل مرتدية ملابس المطبخ متجاهلة الآداب الزوجية وما يترتب علىٰ ذلك من عواقب وخيمة، فإذا كان هـذا حـالهن في سـائر الأيـام، فكيـف بهـن وقـد وقعـت المـصائب واشتدت؟!.

ومن أي طراز هذه الزوجة الصالحة التي تحرص علىٰ أن لا تؤذي زوجها بهموم قد تفقده قوة الإيمان وصلابته وأجر الصابر وثوابه.

مولد عبدا :

** حملت أم سُليم في الليلة التي مات فيها ابنها، وكانت دائمًا تسافر مع النبي ﷺ هي وزوجها، وتخرج معه إذا خرج وتدخل معه إذا دخل، وقد قال رسول الله ﷺ لأهلها: إذا ولدت فأتوني بالصبي.

** ذات مرة كان رسول الله ﷺ في سفر والرميصاء وزوجها معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتىٰ المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا (أي: لا يأتيها ليلًا)، فلما دنوا من المدينة ضرب أم سليم المخاض واحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ نحو المدينة، فأخذ أبو طلحة يدعو ربه متذللًا: يا رب، إنك لتعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترىٰ. وما إن فرغ أبو طلحة من دعائه حتىٰ سمع صوت أم سُلَيْم تقول له: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد.

فانطلقا ليدخلا المدينة مع رسول الله ﷺ .

✍... ضرب أم سليم المخاض:

كان رجل يماني يطوف بالبيت، يحمل أمه العجوز علىٰ ظهره، ويطوف بها بالبيت، فيرىٰ ابن عمر رضي الله عنهما الصحابي الفقيه، فقال له: يا

ابن عمر، أتراني جزيتها؟- تراني بهذا الفعل جزيت حق أمي وأرجعت لها الحقوق؟

فقال له ابن عمر: لا. ولا بزفرة من زفراتها ـ ولا بطلقة من طلقاتها حين وضعتك من بطنها ـ.

** ما إن دخلت أم سليم المدينة وجاء الليل حتىٰ ضربها المخاض، فولدت غلامًا، وقالت لابنها أنس: يا أنس، لا يطعم شيئًا حتىٰ تغدو به إلىٰ رسول الله ﷺ . وبعثت معه بتمرات.

** بات الولد يبكي، وبات هي مجنحة عليه تراقبه، حتىٰ أصبحت، وفي الصباح حمل أنس الغلام إلىٰ رسول الله ﷺ ، فصادفه ومعه ميسم (المكواة التي يكوي بها الحيوان ليتميز ويعرف) فلما رأه الرسول ﷺ قال لأنس: أَوَلَدَت بنت ملحان؟

قال: نعم.

قال: رويدك، أفرغ لك.

وضع الرسول ﷺ الميسم الذي في يده، وتناول الصبي، فوضعه في حجره، وقال: أمعه شيئ؟

قال أنس: نعم، تمرات.

فأخذ النبي ﷺ بعض التمر، فلاكها في فيه حتىٰ ذابت، ثم فَغَرَ فَاه، وأوجره إياه (أي: جعله في حلقه)، فجعل يحنك الصبي، وجعل الصبي يَتَلَمظُها (أي يتتبع بلسانه بقيتها في فمه)؛ يمص بعض حلاوة التمر وريق رسول الله ﷺ ؛ فكان أول ما فتح أمعاء ذلك الصبي علىٰ ريق رسول الله ﷺ . فقال: انظروا إلىٰ حُبّ الأنصار التمر.

قال أنس: يا رسول الله، سمّه.

مسح رسول الله ﷺ وجهه، وقَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ. فما كان في الأنصار شاب أفضل منه.

✍... فجعل يحنك الصبي:

كان من عادة أهل المدينة إذا ولد لهم ولد يأتون به إلىٰ رسول الله ﷺ ومعهم تمر فيأخذ الرسول ﷺ التمرة فيمضغها بفمه، ثم يحنك بها الصبي؛ لأن في ذلك فائدتين: الأولىٰ بركة ريق النبي ﷺ وكان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يتبركون بريق النبي ﷺ وبعرقه .

الفائدة الثانية: من التمر الذي كان يحنكه الصبيان أن التمر فيه خير وبركة، وفيه فائدة للمعدة فإذا كان أول ما يصيب الطفل مما يصل إلىٰ معدته من التمر كان ذلك خيرًا للمعدة.

جهادها:

** الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، ولن يكون لأهله عز في الدنيا ولا رفعة في الآخرة إلا به، وقد شرعه الله لنشر الإسلام وإعلاء كلمته وإقامة شرعه، والقضاء علىٰ الفتنة، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [سورة الأنفال:39].

** والجهاد لا يجب علىٰ المرأة في الأصل، إلا إنه عند الضرورة، كما لو هجم الكفار علىٰ بلاد المسلمين فإنه يجب عليها الجهاد، حسب قدرتها واستطاعتها، فإن كانت غير مستطيعة فلا يجب عليها لقول الله تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة:286]،

ولكن تستطيع أن تشارك بأمور تستطيع المرأة بطبيعتها أن تفعلها كما قالت أم عطية، فعن أم عطية الأنصارية قالت: غزوت مع رسول ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحىٰ، وأقوم علىٰ المرضىٰ(1).

** وهناك انواع من الجهاد يمكن أن تشارك فيه المرأة، ومن أهم ذلك مجاهدة نفسها بحمل نفسها علىٰ العمل بما أوجبه الله عليها من الطاعات، والبعد عن المعاصي، والاستقامة والثبات علىٰ ذلك، وكذلك رعاية وتعليم أبنائها، وتنشئتهم علىٰ آداب الإسلام، فتربية النفس والنشء علىٰ الدين من أعظم الواجبات، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:6] .

ومن ذلك جهادها بالدعوة إلىٰ الإسلام بتعليم بنات جنسها، وأمرهن بالمعروف ونهيهن عن المنكر، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:71] .

يوم أحد

** ولم تكن أم سليم تتخلف عن النبي ﷺ في غزواته إلا في النادر، وكان زوجها أبو طلحة من أقوىٰ الرماة، بقي مع النبي ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس يدافع عنه رضي الله عنه، وقد أدت أم سليم ذلك اليوم العصيب دورًا عظيمًا.

(1) رواه مسلم .

** يقول أنس: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم رضي الله عنهما وإنهما لمشمرتان- أي قدم سوقهن- تنقزان (وقال غيره: تنقلان) القرب على متونهما (أي ظهورهما)، ثم تفرغانه في أفواه القوم فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغان في أفواه القوم.

** الله كبر لقد ثبتت أم سليم وعائشة رضي الله عنهما حين انهزم معظم الرجال تقومان فيه بالإسعافات الأولية للجرحى وتساعدان من بقي من الرجال في المعركة.

يوم حنين

** اتخذت أم سليم خنجرًا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر.

فقال لها رسول الله ﷺ: مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟

فقالت: يا رسول الله اتخذتُهُ، إن دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه، وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك.

فقال لها الرسول ﷺ: يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن(1).

** غزوة حنين كانت معركتها بعد فتح مكة، وكان عدد المسلمين أكثر بكثير من عدوهم إذ كان العدو من قبيلة هوازن، وكان حال كل من الفريقين ما ذكره الله في كتابه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥)﴾ [سورة التوبة].

(1) رواه مسلم .

** انهزم الناس وبقي النبي ﷺ ومعه عدد قليل من أصحابه لا يتجاوز عددهم اثني عشر رجلًا، فكانت أم سليم مع من بقي مع النبي ﷺ في هذا الموقف الحرج.

فقالت أم سليم ـ وكانت يومئذ تقاتل شادة علىٰ بطنها بثوب ـ: يا رسول الله، أرأيت هؤلاء الذين فروا منك وخذلوك، فلا تعف عنهم إن أمكنك الله منهم.

فقال ﷺ : يا أم سليم، عافية الله أوسع.

فأعادت ذلك ثلاث مرات، وفي كل ذلك يقول رسول الله ﷺ : عافية الله أوسع".

العلم والفقه:

** إن حرص المرء المسلمة (المسلم) علىٰ التفقه في الدين والاجتهاد في طلب العلم، ثم العمل بما تعلم لفيه دلالة علىٰ أن الله أراد به خيرًا، كيف لا؟، وقد قال النبي ﷺ : «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» (1)، وأم سليم من نساء الأنصار، وهن من أحرص الناس علىٰ طلب العلم والتفقه في دين الله. قالت عائشة رضي الله عنها : نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين(2).

** وأم سليم الأنصارية مع كونها من نساء الأنصار المعروفات بالحرص علىٰ طلب العلم كانت مميزة من بينهن مشهورة بذلك، وساعدها علىٰ ذلك قربها من النبي ﷺ دائمًا، فكان ﷺ كثير الزيارة لها، قال أنس: إن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم

(1) رواه البخاري .
(2) رواه البخاري .

سليم إلا علىٰ أزواجه، فقيل له؟ فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي.

بل كانت أم سليم معدودة في أهله ﷺ لكثرة تواجدها مع نسائه في سفره وإقامته. إضافة إلىٰ ما سبق، فابنها أنس بن مالك ينقل إليها كل ما سمع من أقواله ﷺ أو شاهد من أفعاله، فصار بيتها بذلك بيت علم، وقد ساعد كل ذلك أم سليم أن تتصدر في هذا المجال، ومن النماذج الدالة علىٰ حرصها علىٰ العلم وعلمها بالفقة.

أ .. **حرصها علىٰ العلم**: ولم تكن أم سليم تستحي من السؤال من أجل دينها، فقد جاءت إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقالت له وعائشة عنده: فقالت يا رسول الله: إن الله لا يستحيي من الحق، فهل علىٰ المرأة من غسل إذا احتلمت؟. وفي رواية: يا رسول الله، المرأة التي ترىٰ ما يرىٰ الرجل في المنام، فترىٰ من نفسها ما يرىٰ الرجل من نفسه.

فقالت عائشة: يا أم سليم فضحت النساء (ـ فضحت النساء ـ أي حكيت عنهن أمرًا يُستحىٰ من وصفهن به ويكتمنه، وذلك أن نزول المني منهن يدل علىٰ شدة شهوتهن للرجال. شرح مسلم) تربت يمينك (يقولها العرب عند إنكار الشيء والزجر عنه أو الإعجاب به غير قاصدين حقيقة معناها).

فقال لعائشة: بل أنت فتربت يمينك (أي أنت أحق أن يقال لك هذا)، نعم، فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك[1].

✍.. إن ا لا يستحي من الحق:

ولما أرادت أم سليم أن تسأل عن هذا الأمر الذي يصعب علىٰ

---

(1) رواه مسلم .

المرأة أن تبوح بمثله عند الرجال لا سيما عند النبي ﷺ الذي أعطي من المهابة ما لم يعط أحدٌ من الملوك مع تواضعه مهدت له بقولها: إن الله لا يستحي من الحق..إلخ. وبهذا الجد والمثابرة وبذلك القرب من النبي ﷺ ورثت علمًا كثيرًا عنه، لا سيما فيما يتعلق بأمور النساء مما جعلها محل أنظار أهل العلم بعد وفاة النبي ﷺ .

وهذا الذي ينبغي أن تكون عليه فتاة الإسلام، ألا تستحي من سؤال أهل العلم وتسأل عن دينها، فكم من النساء يمنعها الحياء من السؤال، وربما وقعت في مخالفات كثيرة، في العقيدة والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج، وهذا شيئ مشاهد وملموس. فالمرأة إذا رأت أثر البلل الحاصل بالاحتلام يجب عليها الغسل.

ب .. **علمها بالفقه**: سأل أهل المدينة ابن عباس ـ رضىٰ الله عنهما ـ عن امرأة طافت طواف الإفاضة، ثم حاضت هل تنفر ـ تعود لبلدها ـ ولا تطوف طواف الوداع؟

قال لهم: تنفر.

قالوا: لا نأخذ بقولك، وندع قول زيد. (وكان زيد بن ثابت يفتي بأنه لا يجوز للحائض أن تنفر ـ أي تترك مكة ـ قبل أن تطوف بالبيت)

قال ابن عباس: إذا قدمتم المدينة، فسلوا.

فقدموا المدينة فكان فيمن سألوا أم سليم رضي الله عنها فذكرت لهم حديث صفية رضي الله عنها، أيْ قول النبي ﷺ لصفية: إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا، أَمَا كُنْتِ طُفْتِ يَوْمَ النَّحْرِ؟.

قالت: بلىٰ.

قال: فَلاَ بَأْسَ، انْفِرِي.

✍.. امرأة طافت طواف الإفاضة، ثم حاضت. هل تنفر؟

سؤال ذلك الوفد أم سليم عن هذه المسألة التي وقع فيها الخلاف بين الصحابة حين رجوعهم إلىٰ المدينة، وفيها كثير من الصحابة، فيه دلالة علىٰ أنها كانت ممن عرفن من النساء بالعلم في المدينة.

ومعنىٰ الجواب إذا حضرت المرأة للبيت الحرام وطافت طواف الإفاضة، وعند رغبتها فى العودة إلىٰ ديارها، وجاءها الحائض لا تطوف طواف الوداع، وتكتفي بطواف الإفاضة وتعود لديارها، وهذا رحمة من الله ـ سبحانه تعالىٰ ـ وتخفيف علىٰ المرأة ومن معها.

وفاءها بالعهد:

❊❊ الوفاء بالعهد سمة من سمات الإيمان بالله تبارك وتعالىٰ، بل هو من أهم مقتضياته، وإن الإخلال به يدخل المرء في شعب النفاق ويعرضه للطعن في عدالته، ومن أجل ذلك حذرنا رسول الله ﷺ من الإخلال بالوفاء بالعهد، فقال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(1).

❊❊ وقد أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يأخذ علىٰ النساء بالبيعة في ترك خصال من الكبائر كن يرتكبنها أو بعضهن في الجاهلية، فقال جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا

(1) الصحيحين .

يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ [سورة الممتحنة].

وإنما نهاهن الله تعالىٰ عن تلك الأمور لما فيها من مخالفة ما التزمن به من الإسلام الذي يحرم علىٰ المرأة المسلمة ارتكاب أية واحدة منهن، وإن اختلفت جهتها وتعددت أسبابها.

** كان النبي ﷺ يأخذ علىٰ النساء بالبيعة في مناسبات متعددة، وكانت البيعة تقع أحيانًا علىٰ أمور غير المذكورات في الآية؛ لأهميتها أيضًا وكثرة وقوعها من النساء، قالت أم عطية رضي الله عنها: أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح، فما وفت منَّا غير خمس نسوة: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرىٰ.

.. أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح:

النِّياحة: هي فيها رفع الصوت علىٰ الميِّت وذكر محاسنه وتعدادها. ولا شكَّ أنَّ هذا فيه تسخطٌ علىٰ قضاء الله وقدره، وفيه إذكاءٌ للحزن. وقال الرسول ﷺ : ليس منا مَن ضرَب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدَعْوىٰ الجاهلية(1).

أما البُكاء علىٰ الميِّت جائزٌ إذا لم يُصاحِبْهُ نياحةٌ أو نَدْبٌ أو تَسخُّط علىٰ قَدَرِ الله تعالىٰ، فَعنْ أُسامةَ بْنِ زَيْدٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بكىٰ علىٰ ابْنِ إِحْدىٰ بناتِه، فقَالَ لهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: ما هذا يا رسُولَ اللهِ؟ قالَ: هَذِه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ في قُلُوبِ عِبَادِهِ، وإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ (2).

---

(1) رواه البخاري .

(2) رواه البخاري .

ولأن المرأة تحركها العاطفة فقليل منهن من تتذكر ذلك عندما تخصها المصيبة، ولكن أم سليم وفت بعهدها وبيعتها مع رسول الله ﷺ ولم تنوح قط.

مع الرسول ﷺ :

1/ تبركها بالنبي ﷺ :

النبي ﷺ كان يزور أم سليم كثيرًا ويدخل بيتها وينام علىٰ فراشها في غيابها، وكانت هي حريصة كل الحرص علىٰ التبرك به ﷺ في طعامه وشرابه وعرقه وشعره، كيف لا تكون كذلك؟ وقد رأت بعينها معجزاته تظهر في طعامها مرات عديدة.

أ .. فعن أنس: أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعًا (بساط من الجلد)، فيقيل عندها علىٰ ذلك النطع. قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره، فجمعته في قارورة، ثم جمعته في سك (أي من طيب مركب) وهو نائم، فاستيقظ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟

قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب، يَا رَسُولَ اللهِ، نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا (1).

ب.. كان النبي ﷺ يعرف حرص أم سليم علىٰ ذلك، ويقدر لها ذلك ويمكنها من التبرك به ﷺ كلما أمكن؛ ولذا فقد ثبت عنه ﷺ أنه لما حلق شعره يوم النحر، أشار بيده إلىٰ الجانب الأيمن هكذا، فقسم شعره بين من يليه، ثم أشار إلىٰ الحلاق وإلىٰ الجانب الأيسر فحلقه، فأعطاه أم سليم(2).

---

(1) رواه مسلم .

(2) رواه مسلم .

فهكذا ساوىٰ النبي ﷺ أم سليم بالناس حين أعطاها وحدها نصف شعر الرأس، وأعطىٰ بقية الناس النصف الآخر، وما ذاك إلا تقدير منه ﷺ لأم سليم علىٰ اعتنائها الشديد بتتبع آثاره، وهو دليل علىٰ حبها الشديد للنبي ﷺ وقربها منه ﷺ .

✍.. يا رسولَ ا ـِ، نرجو بر كـَته لِصِبيانِنا:

البركة في اللغة هي: ثبوت الخير الإلهي في الشيء. والمقصود به هنا "هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات النبي ﷺ بشرطين: أن تكون هذه البركة قد ثبتت بسبب شرعي، وأن تكون الكيفية ثابتة عن المعصوم ﷺ .

ولكن ينبغي أن يعلم أنه لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ ولم يثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين وهم أحرص الناس علىٰ فعل الخير، ولما لم يفعل ذلك أحد منهم دل ذلك علىٰ أن التبرك خاص به ﷺ .

2/ رعاية النبي ﷺ لها :

كان النبي ﷺ يحيط أم سليم برعايته وإكرامه، ويقول: إني أرحمها، قاتل أخوها معي[1] وأخواها هو حرام بن ملحان، الذي شهد بدرًا، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ عامر بن الطفيل، وهو القائل عندما طعن من خلفه برمح: فزت ورب الكعبة.

✍..قف:

فيٰ موقف النبي خلق الوفاء، فهو يحيطها بعطفه ورعايته إكرامًا

(1) رواه البخاري .

لأخيها الذي استشهد، وهذا يدل علىٰ منزلة الشهيد عند الله وعند رسوله، فهو حي يرزق عند ربه، وأهله جديرون بالإكرام، فكرامته تشمل أهله جميعًا.

3/ كرمها النبي ﷺ :

** الجود من مكارم الأخلاق وقد جاءت الشريعة بالحث عليه، وهو أيضًا من التكافل الاجتماعي الذي لا يمكن لأي مجتمع أن ينهض ويسود الوئام بين أفراده إلا به، والصدقة كما قال النبي ﷺ : والصدقة برهان(1). أي علامة دالة علىٰ إيمان صاحبه.

** وأم سليم الأنصارية كانت من أسرع الناس إلىٰ البذل في وجوه الخير بما تجود به نفسها، ومواقفها في ذلك كثيرة لا تكاد تحصىٰ، ولكن من أبرز تلك المواقف وأعجبها ما كان في طعامها من ظهور معجزة رسول الله ﷺ .

** قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم.

أخرجت أم سليم أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يد أنس، وردتني ببعضه، ثم أرسلته إلىٰ رسول الله ﷺ . ذهب أنس بالطعام فوجد رسول الله ﷺ في المسجد، ومعه الناس فقام عليهم، فقال رسول الله ﷺ لأنس: أرسلك أبو طلحة؟

---

(1) رواه مسلم .

قال: نعم.

فقال: الطعام؟

فقال أنس: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق الرسول ﷺ ومن معه، وانطلق أنس بين أيديهم حتىٰ جاء أبا طلحة فأخبره.

فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله بالناس، وليس عندنا ما يطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

انطلق أبو طلحة حتىٰ لقىٰ رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ معه حتىٰ دخلا فقال رسول الله ﷺ : هلمي ما عندك يا أم سليم.

أتت بالخبز الذي أعطته لأنس، فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة.

فأذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة.

فأذن لهم، فأكلوا حتىٰ شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة.

حتىٰ أكل القوم كلهم حتىٰ شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا.

✍.. اعلم جيدا:

هذا الفضل وإن شاركها فيه زوجها أبو طلحة صاحب الفكرة وهو أبو الأسرة إلا أن لأم سليم الأنصارية الفضل أيضًا في إظهار ما عندها

من الطعام ولو كان يسيرًا، فلو أنها قالت لزوجها حين سألها عما عندها ليس عندي شيء وتعني بذلك ما يصلح لأن يكون طعامًا للنبي ﷺ لكانت صادقة، ولكن رغبتها الشديدة فيما عند الله وإيثارها النبي ﷺ علىٰ نفسها وعيالها جعلها تخرج ما كان في بيتها من طعام وإن قل قدره وضعفت نوعيته؛ ولذا كافأها الله بسبب إخلاصها في حبها للنبي ﷺ وحسن نيتها بأن بارك الله في ذلك الطعام القليل ببركة النبي ﷺ حتىٰ أكل منه العدد الكثير.

4/ هدايا النبي ﷺ :

(أ) .. كانت أم سُليم تتفقد النبي ﷺ وتبعث إليه بالهدية والطعام، يقول أنس: كان النبي ﷺ إذا مر بجنيات أم سليم دخل عليها، فسلم عليها، ثم قال: كان النبي ﷺ عروسًا بزينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت أم سليم: لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية

فقلت لها: افعلي. فصنعت حيسًا (تمر يخلط بسمن وأقط، والأقط شئ يصنع من مخيض الغنم) فجعلته في تور (إناء يشرب فيه) فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلىٰ النبي ﷺ فقل له: أمي تقرئك السلام، وتقول إن هذا لك منا قليل يارسول الله.

انطلق أنس بالحيسة إلىٰ رسول الله ﷺ وقال له: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرأ عليك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله.

فقال لي: ضعها. ثم أمرني فقال: ادع لي رجالًا سماهم، وادع لي من لقيت. قال أنس: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاص

بأهله، وقال لي رسول الله ﷺ : يا أنس، هات التور.

قال: فدخلوا حتىٰ امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله ﷺ : ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه. قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتىٰ أكلوا كلهم. فقال لي: يا أنس، ارفع. قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟!.

ب .. يقول أنس: كانت لأم سليم شاة فجمعت من سمنها في عُكة (آنية السمن) وأرسلتها مع ربيبة إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقال: أفرغوا لها عُكتها، وجاءت فعلقتها علىٰ وتد، فأتت أم سُليم وكانت غائبة فرأت العُكة ممتلئة سمنًا، فلما أخبرت النبي ﷺ بذلك قال: أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه، كلي وأطعمي.

✍.. **لطيفة:**

أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دفعت القليل من الطعام وأجرت عليه الكثير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

4/ اليتيمة:

كان لأم سليم (يتيمة) فرأىٰ رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: أنت هيه (بإسكان الياء والهاء هاء السكت)، لقد كبرت لا كبر سنك.

فرجعت اليتيمة إلىٰ أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟

قالت الجارية: دعا علي نبي الله أن لا يكبر سني، فالآن لا يكبر سني أبدًا.

فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتىٰ لقيت رسول الله

ﷺ فقال لها: «مالك يا أم سليم؟».

فقالت: يا نبي الله دعوت علىٰ يتيمتي.

قال: وما ذاك يا أم سليم.

قالت: زعمت أنك دعوت أنه لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها.

فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي علىٰ ربي أني اشترطت علىٰ ربي، فقلت: إنما أنا بشر أرضىٰ كما يرضىٰ البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها طهورًا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة**»(1).

✍.. انتبه:

كيف أن أم سليم اهتمت بأمر هذه البنت اليتيمة فما أن سمعت قوله ﷺ فيها حتىٰ كادت أن تفقد وعيها من هول ما أصابها جراء هذه الكلمة؛ شفقة منها علىٰ هذه البنت اليتيمة، فتحركت في حينها باحثة عن النبي ﷺ لاستكشاف الموقف، مع أن هذه اليتيمة كانت في حجر أم سليم،- ولم تكن من أولادها لأنها لم تتزوج بعد زوجها الأول إلا أبا طلحة، وقد توفي بعد النبي ﷺ وبالتالي لا يتصور أن يكون لها يتيمة، وإنما كانت تربيها ابتغاء مرضات الله.

لأم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فضائل كثيرة، فلا يوجد باب من أبواب الخير إلا ولها فيه نصيب، أضف إلىٰ ذلك روايتها للحديث الشريف، فقد روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثًا، أربعة منها في الصحيحين.

---

(1) رواه مسلم.

أم سليم وزوجها:

** الفضائل التي سبق ذكرها، جعلت منها المثال الصالح للزوجة التي ينبغي علىٰ زوجها أن يتمسك بها ويصر عليها. قال أنس: أراد أبو طلحة أن يطلق أم سليم، فقال رسول الله ﷺ : إن طلاق أم سليم لحوب (الحوب: الإثم) (1) .

✍.. لطيفة:

في هذا الحديث ما فيه من تقدير النبي ﷺ لأم سليم لمناقبها الرفيعة، وفضائلها الكبيرة التي اجتمعت بها رضي الله عنها، وفيه توجيه كريم لكل زوج رزقه الله تعالىٰ زوجة صالح ليتمسك بها ويحسن معاملتها.

أم سليم وعثمان

عاشت أم سليم حتىٰ شهدت مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما جاءها خبر مقتل عثمان قالت: رحمه الله، أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دمًا (2) .

✍.. لطيفة:

برهنت الأحداث بعد ذلك علىٰ صحة رأيها وبعد نظرها رضي الله عنها .

ورحلت الرميساء:

رحلت الرميصاء أم سليم في حدود الأربعين في خلافة معاوية رضي الله عنه .

رحلت المؤمنة الداعية المبشرة بالجنة.

رحلت إلىٰ مستقر رحمة الله في جنة عرضها السموات والأرض

(1) رواه البزار .

(2) البداية والنهاية .

بجوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فرضي الله عنها وأرضاها، قد أعطت صورة مشرقة عن المرأة المسلمة، وكيف أنها تستطيع أن تؤدي دورها المنوط بها في المجتمع كامرأة، مع المحافظة علىٰ القيم والتعاليم الإسلامية، من خلال ما تركته لنا من مواقف هي في الحقيقة بطولات في ميادين المنافسة بضروب من الطاعات ومشاهد من التضحيات مع ثبات علىٰ المبدأ في السراء والضراء، والأخذ بالعزيمة علىٰ النفس في المنشط والمكره، وهذه المواقف عدة للصابرين وزاد يتزود بها السالك في درب الخير.

كانت أم سليم مؤمنة داعية واعية، ومجاهدة صادقة وزوجة مخلصة ومربية فذة رؤوم، ما زالت ترتقي سلم المجد حتىٰ بلغت منتهاه، وتعلو معالي الفخار حتىٰ بشرها النبي ﷺ بالجنة.

فقال : رَأَيْتُنِيٰ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْسَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً (الخشفة: هي حركة المشي وصوته) فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

فَقَالَ: هَذَا بِلالٌ. وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»(1).

وأخيرا.. نداء

فيا أختاه هل لك أن تعتبري فتتعظي من مواقف أم سليم رضي الله عنها

(1) رواه البخاري .

فتضعينها نصب عينيك وتكونين نموذجًا للفتاة المسلمة التي لا تتباهىٰ بغلاء مهر، وإنما كل همها قول رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

وهل لك أن تكوني يا أختاه نموذجًا للأم حين تفقد ولدها.. فالصبر والتجلد عند الصدمة الأولىٰ.

وهل لك أن تكوني نموذجًا للزوجة الصالحة الوفية الودود التي تسر زوجها إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها، وتهيئ له أسباب الراحة!.

هذه سيرة لؤلؤة

من لآلئ العقد الفريد

من الصحابيات الجليلات رضي الله عنهن

هؤلاء النسوة اللاتي انتصر بهن الإسلام.

هؤلاء النسوة اللاتي أنجبن الفاتحين والقادة والأبطال.

هيَّا يا أختاه اتخذي من أم سُليم قدوة، أمًّا وزوجة، ومربيةً فاضلة.

تَعَلَّمي منها حب الإسلام.

تَعَلَّمي منها حب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

تَعَلَّمي الحكمة في الدعوة.

أيتها الأمهات

تَعَلَّمْنَ من تُزَوِّجْن بناتكن ومن ترفضن

تَعَلَّمْنَ منها الصبر الجميل.

تَعَلَّمْنَ منها طاعة الزوج.
تَعَلَّمْنَ منها حسن تربية الأبناء.

2

أم أيمن بركة بنت ثعلبة
من أهل الجنة

قال الرسول ﷺ :«**من سرَّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**».

نسبها وأسرتها:

هي.. بركة بنت ثعلبة بن عمر بن حصن بن مالك بن عمر النعمان، الحبشية، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته. وتكنىٰ بـ (أم أيمن)

زوجها الأول.. عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج، توفي قبل الإسلام.

زوجها الثاني.. زيد بن حارثة رضي الله عنه حب رسول الله ﷺ الذي استشهد بموقعة مؤتة سنة 8 هـ.

ابنها الأول.. أيمن بن عبيد بن الخزرج رضي الله عنه ، استشهد يوم حنين.

ابنها الثاني.. أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه القائد الذي انتَصر علىٰ الروم، وأَخَذ بثأر أبيه مِن قاتلِه في موقعة مؤتة سنة 8 هـ.

بركة بمكة:

** وقعت أسيرة في السبي الذي كان من جيش أبرهة صاحب الفيل، بعد أن انهزم أبرهة، فأخذها عبد المطلب جد النبي ﷺ ، فكانت عنده وصيفة، إنها (بركة)، وكان يقال لها: أم الظباء.

** لم يَشعر أحد بها، ولم يعبأ بميلادها إنسان، وعاشَت في مكة

وهي بين أهلها مجهولة، لا ينظر المرء إلىٰ سلعة ثمنها دراهِم مَعدودة؛ ولكنها- تلك الفتاة الحبشية- عاشت حياة كريمة في الوطن الجديد لأمانتها ووفائها، وخلقها الكريم وسلوكها المستقيم، ولكن لم يَذكر التاريخ اليومَ الذي ولدت فيه، والسنَة التي وُلدتْ فيها، بل ترَكها تدوِّن تاريخها بيدِها وتصنعه بجهادِها وجَلالِها، إنها (بركة).

** كانت بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن الحبشية مولاة لعبد الله بن عبد المطلب، ولما توفي عبد الله ووضعت زوجته آمنة بنت وهب مولودها محمد ﷺ ، أخذته أم أيمن واحتضنته حتىٰ بلغ أشده.

** ورث محمد بن عبدالله ﷺ أم ايمن من والدة عبد الله بن عبد المطلب، ثم أعتقها عندما تزوج بخديجة بنت وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

** ظل محمد بن عبدالله ﷺ يقول لأم أيمن: «يا أم» ويقول: هذه بقية أهل بيتي.

تربيتها لمحمد بن عبدا ﷺ :

** لما بلغ محمد بن عبدالله مِن عمره المجيد السادسة، صحبته أمه آمنة بنت وهب إلىٰ يثرب؛ لتزور قبر زوجها عبد الله، وكانت معهما بركة، وفي طريق عودتهم من يثرب، ماتت أمه آمنة بالأبواء، ودفنت هناك.

** احتضنت بركة محمد بن عبدالله ﷺ ، وحنت عليه حنوَّ الأب والأم معًا، وتَشمُّت فيه ريح الحبيبَين الذاهبَين في أطباق الثَّرىٰ.

** رجعت بركة بمحمد بن عبدالله إلىٰ مكة، وانتقلت مع انتقال حضانة الطفل اليتيم إلىٰ دار جده عبدالمطلب، وبعد وفاة جده

عبدالمطلب انتقلت بركة مع الطفل اليتيم إلىٰ دار عمه أبي طالب دون غيره من الأعمام، مع كونهم أيسر منه حالًا؛ وذلك لأنه كان شقيقًا لعبدالله والد محمد بن عبدالله، إذ أمهما فاطمة بنت عمر بن عائذ، إضافة إلىٰ كونه القائم مقام عبد المطلب في قريش بعد وفاته.

** كلما مضىٰ عام مِن حياة محمد، كانت ترىٰ بركة فيه شمسَها الصاحيَة، وأملها الباسم، تسير معه تارةً بحسِّها، وطورًا بنفسِها، ومحمد يَنتقِل مِن طَور الطفولة إلىٰ طَور الشباب، فالرُّجولة، وهي معه.

** لما بلغ محمد ﷺ سنَّ الزواج وتزوَّج بخديجَة، انتقلت بركة معه إلىٰ بيت السيدة خديجة رضي الله عنها.

** لم يرض محمد ﷺ أن تظل بركة جاريةً له، فأعتقها في يوم زواجه؛ لتحس معه بالفرحة، وتكون حاضرةً بوصفها أمه بحق وهي حرة مختارة، ورأت خديجة حب زوجها لبركة، فأكرمتها.

زوجها الأول:

** تقدم عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج ليتزوج من بركة، فتكفلت السيدة خديجة رضي الله عنها بتجهيزها لزواجها.

** عاشت بركة مع زوجها عبيد بن زيد بمكة ما شاء الله أن تعيش، ثم رحلَت معه إلىٰ بلده يثرب، وأقامت فيها ما شاء الله لها أن تُقيم، ورُزقت منه بولدها أيمن رضي الله عنه.

** مات عبيد بن زيد زوج بركة، فما لبثت أن عادت إلىٰ مكة ومعَها ولدها أيمن، ونزلت عند محمد بن عبدالله، وأقامت في جواره الكريم.

إسلامها:

** دخل الإسلام دار خديجة، وجلست أم أيمن إلىٰ محمد ﷺ وخديجة رضي الله عنها تصغي إليهما وهما يحدثانها حديث الدعوة الجديدة التي تنفي الألوهية عن كل الآلهة، ثم تثبتها في قوة لله وحده لا شريك له.

** رأت أم أيمن أنها دعوة بسيطة لا تعقيد فيها، دعوة يقبلها العقل، وتبتهج بها الروح وتشرق لها النفس، ويطمئن الفؤاد، فأسلمت ودخلت في الدين الجديد، في أول العهد بالإسلام مع من أسلم من بيت النبي ﷺ فكانت من السابقين الأولين بعد خديجة وعلىٰ بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهم.

زوجها الثاني:

** اهتم الرسول ﷺ بأمر أم أيمن، كما يهم ولي الأمر من أمر من يقوم عليهن من بناته، وأراد لها أن تتزوج وتنعم بحياة زوجية ناعمة هي وابنها أيمن، فقال لأصحابه: مَن سرَّه أن يتزوج امرأةً مِن أهل الجنة فليتزوَّج أم أيمن(1).

** تقدم إليها رجل يحبه الله ورسوله ﷺ فتزوَّجها، إنه زيد بن حارثة رضي الله عنه حب رسول الله ﷺ بعد انفصاله عن زينب بنت جحش رضي الله عنها زوجته الأولىٰ، وولدت له أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه ، الحب ابن الحب، في السنة السابعة للنبوة قبل الهجرة.

هجرتها:

** إن أم أيمن لازمت الرسول ﷺ طيلة حياته، ولم تفارقه إلا

---

(1) رواه السيوطي .

حين سبق ﷺ بناته وزوجه سودة بنت زمعة إلىٰ المدينة مهاجرًا.

** تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر خلفنا بمكة، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع، وبعث أبو بكر عبدالله بن أريقط، وكتب إلىٰ عبدالله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبي بكر، وأنا وأختي أسماء، فخرج بنا، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة، وأخذ زيد امرأته أم أيمن وولديها أيمن وأسامة، واصطحبنا، حتىٰ قدمنا المدينة، فنزلت في عيال أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ عنده، وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته، فأدخل سودة بنت زمعة أحد تلك البيوت، وكان يكون عندها، فقال له أبو بكر: ما يمنعك أن تبني بأهلك؟ فبنىٰ بي[1].

** وورد في (الإصابة): لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء (بين الروحاء و المدينة ما يعادل السبعين كيلو مترًا)، فعطشت وليس معها ماء وهي صائمة، وجهدت، فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فشربت، وكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشتُ، وأوَّلَ بعض أهل العلم هذا الحديث أنه ربما ضلت أم أيمن الطريق عن الركب حال التوقف، ثم عادت وانضمت إليهم ثانية؛ وذلك لأنها لم تصل المدينة وحدها.

جهادها:

في غزوة أحد:

** اشتركت أم أيمن في غزوة أحد، حيث خرجت لكي تسقي

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري.

الماء، وتداوي الجرحىٰ، وبينما كانت تقوم بمهمتها إذا بسهم حبان بن العرقة يصيبها فأوقعها أرضًا، فضحك عدو الله ضحكًا شديدًا فشق ذلك علىٰ رسول الله ﷺ ، فناول ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سهمًا لا نصل له، وقال له: ارمِ.

فأصاب السهم حبانَ فوقع مستلقيًا، وبدت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، وقال: استقاد لها سعد أجاب الله دعوتك وسدد رميتك.

** ولما خالف الرماة أوامر الرسول ﷺ وانهزم بعض المسلمين وفروا من المعركة، لقيتهم أم أيمن وحثت في وجوههم التراب، وهي تقول لبعضهم: هاك المغزل، فاغزل به وهلم سيفك.

ثم اتجهت نحو الرسول ﷺ تستطلع أخباره حتىٰ اطمأنت علىٰ سلامته فاطمأن قلبها.

في غزوة حنين:

** حضرت أم أيمن وابنها أيمن يوم حنين، ولما حدث الاضطراب الشديد الأليم بين المؤمنين، والذي صوَّره الله سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ﴾ [التوبة] .

** فر الكثير من الصحابة من حول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لهول الموقف، وشراسة المعركة، ودهشة المفاجأة، ولكن أم

أيمن وابنها أيمن ظلَّا ثابتين إلىٰ جوار الرسول، مع قلة قليلة، فوقف أيمن صامدًا أمام الخيل التي هاجمت جيوش الإسلام في الصباح الباكر، وظل يجاهد ويدافع عن الرسول ﷺ دفاعًا مستميتًا حتىٰ قتل بين يديه، وذاق أيمن طعم الشهادة في سبيل الله.

** أحصىٰ العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ثمانية من الصحابة نصروا الله ورسوله: هو وابنه الفضل، وعلي بن أبي طالب وأبو سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب والثامن الشهيد أيمن بن عبيد رضي الله عنهم أجمعين.

صبرها رضي الله عنها:

** اصطف المسلمون في مؤتة وقد اقتربت ساعة الصفر لأشرس موقعة في تاريخ السيرة النبوية، حيث أمواج بشرية هائلة من الرومان ونصارىٰ العرب تنساب إلىٰ أرض مؤتة، ورجال كالجبال من المسلمين يقفون ثابتين في وجه أقوىٰ قوة في العالم آنذاك.

** وها هي قد ارتفعت صيحات التكبير من المسلمين، وحمل الراية زيد بن حارثة زوج أم أيمن، وأعطىٰ إشارة البدء لأصحابه، وقد اندفع كالسهم صوب الجيوش الرومانية، وكان قتالًا لم يشهد المسلمون مثله قبل ذلك.

** ارتفع الغبار في أرض المعركة في ثوانٍ معدودات، وما عاد أحد يسمع إلا أصوات السيوف أو صرخات الألم، ولا يتخلل ذلك من الأصوات إلا صيحات تكبير المسلمين، أو بعض الأبيات الشعرية الحماسية التي تدفع المسلمين دفعًا إلىٰ بذل الروح والدماء في سبيل

إعلاء كلمة الإسلام، وقد سالت الدماء غزيرة في أرض مؤتة، وتناثرت الأشلاء في كل مكان، ورأىٰ الجميع الموت مرارًا ومرارًا.

** كانت ملحمة بكل المقاييس، سقط علىٰ إثرها أول شهيد للمسلمين، وهو البطل الإسلامي العظيم والقائد المجاهد زيد بن حارثة، حِبّ رسول الله، سقط مُقبِلًا غير مدبر بعد رحلة جهاد طويلة بدأت مع الأيام الأولىٰ لنزول الوحي.

فكان من أوائل من أسلم علىٰ وجه الأرض، وقد صحب الرسول في كل المواطن، وكان هو الوحيد الذي ذهب معه إلىٰ الطائف، ووالله لكأني أراه وهو يدافع بكل ما أوتي من قوة عن حبيبه حتىٰ شُجّت رأسه، وسالت دماؤه غزيرة.

** بلغ خبر استشهاد زيد زوجته أم أيمن فاحتسبته عند الله تعالىٰ وصبرت واسترجعت.

البقاء بالمدينة:

** بقيت السيدة أم أيمن بركة الحبشية بعد أن رجَعت مِن غزوة حُنين بالمدينة النبوية، ولم يَذكُرها التاريخ بعد حُنين في غزوة مِن الغزوات الباقيَة، والظاهر أنها أقامَت لا تَبرَح المدينة؛ فلقد أصبَحت كبيرة السنِّ قد أضعَفها الكِبَر، وأَضناها السِّقَم، بعد أن ذاقَت مِن الحياة أتراحَها وأفراحَها، وشَربت مِن مَعين الدنيا حُلوَها ومرَّها، وفقدت الزوج بعد الزوج، ثم مات فلذة الكبد ولدُها أيمن، ولم يَبقَ لها إلا أسامة وحبيبُها الأول رسول الله الكريم.

إكرام ا تعالى لأم أيمن:

روىٰ ابن سعد عن عثمان بن القاسم أنه قال: لما هاجرت أم أيمن،

أمست بالبصرة، ودون الروحاء، فعطشت، وليس معها ماء، وهي صائمة، فأجهدها العطش، فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فأخذته فشربته حتىٰ رويت. فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر، فما عطشت.

✍... لفتة

لقد أكرم الله سبحانه أم أيمن وهي صائمة فقد أصابها العطش، وهي لم يكن معها ماء فدلي عليها من السماء ماء فرويت، فهذا يدل علىٰ كرم الله علىٰ أم أيمن، منزلتها العالية وفوزها بمحبة الله والرسول ﷺ وهذا كله يدل علىٰ رفق الله بعبادة وسعة رحمة الخالق.

مع النبي ﷺ

1/ اكرام النبي ﷺ لها:

** كان رسول الله ﷺ يقول دائمًا علىٰ أم أيمن: هذه بقية أهل بيتي.

وهذا إن دل فإنما يدل علىٰ مكانة أم أيمن عند رسول الله ﷺ وحبه الشديد لها، وحيث اعتبرها من أهل بيته، وبهذا أكرمها أعز مكرمة لها في الدنيا.

2/ إنها الرحمة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حُضِرَتِ ابْنَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، صَغِيرَةٌ فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَضَمَّهَا إِلَىٰ صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وقُبِضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**يَا أُمَّ أَيْمَنَ، أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَكَ؟**»، فَقَالَتْ: مَا لِي لا أَبْكِي

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَبْكِي!، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ عز وجل(1).

3/ الرسول ﷺ يمازحها:

كان الرسول ﷺ يُمازِح أم أيمن كي يُدخل علىٰ نفسها الحزينة بعض الفرح؛ سألته مرَّة أن يَحمِلها، فقال لها: لا أحمل إلا علىٰ ولد الناقة.

فقالت له: إنه لا يُطيقني ولا أريده.

فقال مُتضاحِكًا: لا أحملك إلا علىٰ ولد الناقة.

فقالت: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة!.

فقال: وهل تلد الإبل إلا النوق.

✍.. كان الرسول ﷺ يمازح أم أيمن كي يدخل على نفسها الحزينة بعض الفرح

علىٰ الرغم من كون النبي ﷺ نبيًّا من الأنبياء يتلقّىٰ الوحي من السماء، غير أن المشاعر الإنسانية المختلفة تنتابه كغيره من البشر، وتمر به حالات من الضحك والبكاء، والفرح والحزن، وتبرز قيمة العنصر الأخلاقي في حياة النبي ﷺ في وضع هذه المشاعر المتباينة في إطارها الشرعي، حيث صانها عن الإفراط والتفريط، بل أضاف لها بُعْدًا راقيًا حينما ربطها بقضيّة الثواب والاحتساب، فقال ﷺ :

---

(1) سنن النسائي.

تبسمك في وجه أخيك صدقة[1]. وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طَلِق (ضاحك مستبشر) [2].

ولا شك أن من مكارم الأخلاق إدخال السرور علىٰ المسلم، ومن ثم فقد كان مزاحه ﷺ تأليفًا ومداعبة، وتفاعلًا مع أهله وأصحابه، وإدخالًا للسرور عليهم، وكان مشتملًا علىٰ كل المعاني الجميلة، والمقاصد النبيلة، فصار من شمائله الحسنة وصفاته الطيبة ﷺ، قال عبيد الله بن المغيرة: سمعت عبد الله بن الحارث قال: ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ [3].

والضحك والمزاح أمر مشروع كما دلت علىٰ ذلك النصوص القولية، والمواقف الفعلية للرسول ﷺ، وما ذلك إلا لحاجة الفطرة الإنسانية إلىٰ شيء من الترويح، يخفف عنها أعباء الحياة وقسوتها، وهمومها وأعباءها، ولا حرج فيه ما دام منضبطًا بهدي النبي ﷺ، ولا يترتب عليه ضرر، بل هو مطلوب ومرغوب؛ لأن النفس بطبعها يعتريها السآمة والملل، فلا بد من فترات راحة، وليس أدل علىٰ مشروعية الضحك والمزاح والحاجة إليه، مما كان عليه سيد الخلق وخاتم الرسل ﷺ، فقد كان يداعب أهله، ويمازح أصحابه، ويضحك لضحكهم. وقد سئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟، قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل. وقال

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه مسلم .

(3) رواه الترمذي .

بلال بن سعد: أدركتهم يضحك بعضهم إلىٰ بعض، فإذا كان الليل، لا. كانوا رهبانًا.

4/ الرسول ﷺ يزورها:

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : ذهبت مع النبيﷺ إلىٰ أم أيمن نزورها، فقربتْ له طعامًا أو شرابًا، فإما كان صائمًا، وإما لم يرده، فجعلت تخاصمه(أي: تقول له كُلْ) (1).

وفي رواية: فأقبلت تضاحكه وكان الرسولﷺ يبتسم لتصرفاتها ويهش لها.

.. ذهبت مع النبي ﷺ إلى أم أيمن نزورها

إن زيارة الأقارب والجيران والأصدقاء، وغيرهم من عموم المسلمين؛ وسيلة من وسائل توثيق المودة، وتآلف القلوب، وتقوية الروابط، وفيها يتذكر الناسي، وينبّه الغافل، ويعلَّم الجاهل، ويروح بها عن النفوس، وتخفف المصائب والأحزان، وغير ذلك من الفوائد المرجوة من وراء الزيارات.

ولاشك أن الزيارة للإخوان في الله، والأصدقاء، والأقارب تقربًا إلىٰ الله، وطاعة له- سبحانه-، وحرصًا علىٰ بقاء المودة والمحبة، وعلىٰ صلة الرحم من أفضل القربات، ومن أفضل الطاعات، قال رسول الله ﷺ أنه قال: "يقول الله- عز وجل-: وجبت محبتي للمتزاورين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتحابين فيّ، والمتباذلين في(2).

(1) رواه مسلم .
(2) رواه الامام مالك .

5/ الرسول ﷺ يسقيها:

** لم ينقطع الرسول ﷺ عن زيارة أم أيمن ولـم تنقطع عنـهﷺ، وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: شرب رسول الله ﷺ يومًا وأم أيمـن عنـده، فقالت: يا رسول الله، اسقني.

فقلتُ لها: ألرسول الله ﷺ تقولين هذا؟

قالت: ما خدمته أكثر.

فقال النبيﷺ: «صدقت» فسقاها.

6/ النبي يعطيها:

** يقـول أنـس بـن مالـك رضي الله عنه إن الرجـل كـان يعطـي مـن مالـه النخلات أو مـا شـاء الله مـن مالـه للنبـي ﷺ حتىٰ فتحـت عليـه قريظـة والنضير فجعل يرد بعد ذلك، فأمرني أهلي أن آتيه فأسأله الذي كانوا أعطـوه أو بعـضه، وكـان النبـي ﷺ أعطـاه أم أيمـن أو كمـا شـاء قـال: فسألته فأعطانيهن، فجاءت أم أيمـن فلـوت الثـوب في عنقـي، وجعلـت تقول: كلا والله لا إله إلا هو لا نعطيكهن وقد أعطانيهن.

فقال النبي ﷺ: يا أم أيمن، اتركي كذا وكذا.

وهـي تقـول لا والله حتـىٰ أعطاهـا عـشرة أمثـال ذلـك أو نحـوه، وفي لفظ الصحيح –كلا والله حتىٰ أعطىٰ عشرة أمثاله– (1).

7/ رخصة نبوية:

كانت أم أيمن رضي الله عنها عسراء اللسان لا تستطيع نطق بعض الكلمات نطقًا سليمًا وقد دخلت مرة علىٰ رسول الله ﷺ، وقالت: سلام لا

(1) متفق عليه .

عليكم. و كانت تريد أن تقول: سلام الله عليكم.

فلما رأىٰ النبي ﷺ ذلك اختصر لها السلام إلىٰ قولها: السلام. وذلك تيسيرًا لها.

✍.. **اختصر لها السلام إلى قولها: السلام. وذلك تيسيرا لها:**

لما كانت الشريعة الإسلامية آخر شريعة سماوية، كان لابد أن تكون مميزة بخصائص ومميزات تجعلها قابلة للثبات والاستمرار ومواكبة لحياة الإنسان مهما كان، وفي أي عصر كان وفي أي مكان كان. ومن أهم المميزات التي تميزت بها شريعتنا الغرَّاء رفع الحرج عن المكلفين والتيسير عليهم، قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال ﷺ: «**إن خير دينكم أَيْسره، إن خير دينكم أَيْسره، إن خير دينكم أَيْسره**»(1) ، والمقصود باليُسْر: فعل ما يحقق الغاية بأدنىٰ قدر من المشقة، فأم أيمن حبشية وعسراء اللسان لا تستطيع نطق بعض الكلمات نطقًا سليمًا، بل تجد لها مشقة فيسر لها الرسول ﷺ بأن تقول: السلام بدلًا من السلام عليكم ورحمة الله.

8/ أم أيمن وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

** حادثة الإفك

ـ حاول المنافقون الطعن في عرض النبي ﷺ بالافتراء علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما يعرف في كتب السيرة بحادثة الإفك، والذي كان القصد منها النيل من النبي ﷺ ومن أهل بيته الأطهار، لإحداث الاضطراب والخلل في المجتمع الإسلامي، بعد أن فشلوا في إثارة النعرة الجاهلية،

---

(1) رواه أحمد .

لإيقاع الخلاف والفرقة بين المسلمين.

ـ وتولىٰ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول، وأوقع في الكلام معه ثلاثة من المسلمين، هم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحَمنة بنت جحش.. فاتُهِمت ـ أم المؤمنين ـ عائشة ـ بالزنا إفكًا.

ـ أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله ﷺ ساكتٌ لا يتكلم، ثم استشار أصحابه ـ لما استلبث الوحي طويلًا ـ في فراقها، فأشار عليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يفارقها، ويأخذ غيرها، تلويحًا لا تصريحًا، وأشار عليه أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره بإمساكها، وألا يلتفت إلىٰ كلام الأعداء.

ـ وكانت أم أيمن من أقرب المقربين إلىٰ آل البيت؛ لذا سألها رسول الله ﷺ : أي امرأة تعلمين عائشة.

قالت: حاشا سمعي وبصري أن أكون علمت، أو ظننت بها إلا خيرًا.

ـ وبعد شهر انقشعت سحابة الشك والارتياب والقلق والاضطراب عن جو المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحًا لم يستطع أن يرفع رأسه بعده، وبرأ الله عز وجل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الإفك بقرآن يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، يتعبد المسلمون بتلاوته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ ..﴾ [النور: 11].

✍.. لفتة:

نحن معشر المسلمين والمسلمات لنا في قصة الإفك عبرةٌ نحتكم بها في أمورنا، وهي أن نبتعد عن الشك والنفاق والنميمة، خاصةً فيما يتعلق بالأعراض، وأن نحسن الظن بالله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة دائمًا وأبدًا.

9/ زواج فاطمة رضي الله عنها:

ـ لما بلغت فاطمة بنت محمد ﷺ مبلغ الزواج تقدم لخطبتها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب فأجابهما رسول الله ﷺ بقول جميل كما في النسائى: «**إنها صغيرة**». وفي رواية: «**إني أنتظر بها القضاء**».

ـ وهنا أشار عمر بن الخطاب علىٰ عليّ بن أبىٰ طالب أن يتقدم لخطبتها، وقال له: أنت لها يا عليّ.

ـ فتقدم عليّ لخطبتها وكان عمرها حوالي الثامنة عشرة، وكان عليّ في الثانية والعشرين.

ـ فذهب عليّ إلىٰ رسول الله ﷺ ووقف عليّ رضي الله عنه قريبًا منه فألقىٰ عليه السلام، ثم قال: أردت أن أخطب فاطمة يا رسول الله.

ـ وافق الرسول ﷺ علىٰ زواج فاطمة من عليّ، وعندما زفت السيدة فاطمة رضي الله عنها كانت أم أيمن رضي الله عنها ممن جهزها لزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي وأسماء بنت عميس رضي الله عنها.

10/ وفاة زينب رضي الله عنها:

ـ عندما علم رجال قريش بخبر خروج السيدة زينب بنت محمد ﷺ إلىٰ أبيها مهاجرة، لحق بها هبار بن الأسود ومعه رجل آخر من قريش فعندما لقيها روَّعها برمحه، فإذا هي تسقط من فوق بعيرها علىٰ صخرة جعلتها تسقط جنينها، فولىٰ الرجال من بعد ذلك هاربين.

ـ رجع كنانة بن الربيع إلىٰ مكة ومعه زينب حتىٰ ترتاح من الألم والمرض الذي ألم بها، وبعد عدة أيام اصطحبها مرة أخرىٰ إلىٰ يثرب حيث استقبلها أبوها استقبالًا حارًّا سعيدًا برؤيتها مجددًا مع طفليها علي وأمامة.

ـ أخبرت السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ بما فعله هبار وصاحبه، فاشتد غضب الرسول ﷺ .

ـ التم شمل الزوجين أبي العاص والسيدة زينب بالمدينة، وبعد أن عاشا حياة كريمة سعيدة في دار الإسلام مع ولديها أمامة وعلي، بدأ المرض يزداد علىٰ السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وظلت زينب لازمة الفراش فترة طويلة من أثر ما تعرضت له من قبل هبار بن الأسود.

ـ لم تستطع الأدوية أن تخفف من مرض زينب، فسلمت أمرها لله سبحانه وتعالىٰ. في العام الثامن للهجرة توفيت السيدة زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وحزن رسول الله ﷺ حزنًا عظيمًا، وحزن معه زوجها أبو العاص.

ـ لما ماتت زينب قال الرسول ﷺ : «**اغسلنها وترًا، ثلاثًا أو خمسًا، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا غسلتنها، فأعلمنني. فلما غسلناها أعطانا حقوه، فقال: أشعرنها إياه**» .

ـ فكانت أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ممن غسلها ومعها السيدة سودة بنت زمعة والسيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن جميعًا.

11/ النبي ﷺ وابنها أيمن:

** لم يقبل الرسول ﷺ أن ينشأ (أيمن ابن بركة) منحرفًا أو متعسفًا أو مدلّلًا، بل حرص علىٰ أن ينشأ رجلًا عاقلًا فاضلًا، ومؤمنًا تقيًّا مناضلًا.

** مر النبي ﷺ علىٰ أيمن ذات يوم ومعه فتيان مثله قد حلوا أُزُرهم، وجعلوها كالسياط، وأخذوا يتضاربون بها في عنف وقسوة، فغضب الرسول ﷺ من ذلك، وقال مؤنبًا ومؤدبًا: لا من الله استحيوا، ولا من رسوله استتروا.

** علمت أم أيمن بذلك فغضبت، وجعلت تترضىٰ رسول الله ﷺ ، وتقول له: استغفر لهم يا رسول الله. وبعد جهد وإبطاء استغفر لهم الرسول ﷺ (النهاية لابن الأثير).

** انصرف الفتىٰ أيمن ابن بركة إلىٰ حياة الجد، وترك حياة اللهو واللعب ومضىٰ في طريق الاجتهاد والجهاد في سبيل الله.

12/ وفاة الرسول

وحين توفي النبي محمد رثته أم أيمن، قائلة:

عين جودي فإن بذلك للدمع ... شفاء فأكثري من البكاء
حين قالوا الرسول أمسىٰ فقيدًا ... ميتًا كان ذاك كل البلاء
وابكيا خير من رزئناه في الدنيا ... ومن خصه بوحي السماء
بدموع غزيرة منك حتىٰ ... يقضي الله فيك خير القضاء
فلقد كان ما علمت وصولًا ... ولقد جاء رحمة بالضياء
ولقد كان بعد ذلك نورًا ... وسراجًا يضيئ في الظلماء
طيب العود والضريبة والمعدن ... والخيم خاتم الأنبياء

مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

** قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلىٰ أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله يزورها.

** فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله.

فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

فهيجتهما علىٰ البكاء، فجعلا يبكيان معها[1] .

من أقوالها

1/ عن الرسول ﷺ :

عن أم أيمن قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ شكا صغيرًا ولا كبيرًا جوعًا ولا عطشًا، كان يغدو فيشرب من ماء زمزم، فأعرض عليه الغداء فيقول: لا أريده أنا شَبِع.

2/ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مات خليفة الرسول أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأم أيمن تعيش لعبادتها طائعة لربها، ورأت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد تولىٰ الخلافة الإسلامية وأقبلت الدنيا علىٰ المسلمين في عهده، واتَّسعَت فتوحاته، ودوىٰ صوت الإسلام في الدنيا، وأصبح الإسلام يَسير مِن نصْر إلىٰ نصر، ويَنتقِل مِن ظفَر إلىٰ ظَفر، ولحق عمر بمحمد ﷺ وصحبِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولما بلَغ أم أيمن موت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكتْ، فقيل لها: ما يُبكيك؟!

قالت: "الآن وَهَىٰ الإسلام (أي ضعف الإسلام) [2] .

✍.. لطيفة:

لله أنتِ يا برَكة، لكأنَّك تَنظُرين بنور الله، ولكأنَّك تتكشَّفين خبايا الحدَثَين وتبصرين ما وراء الحجُب. نعم، لقد مات عُمر.. وأين عمر؟، فحقَّ لها أن تَبكيه، حقًّا إنها كانت تَزن الرجال بميزان الحق والعدل والشجاعة والإيمان.

---

(1) رواه مسلم .

(2)الهيثمي: مجمع الزوائد.

وانطَفأ السراج

** اختلف في تاريخ وفاة أم أيمن فقيل: توفيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة أو بستة أشهر.

** وقيل: توفيت بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعشرين يومًا، في خلافة عثمان سنة 24 هـ، فصلىٰ عليها عثمان بن عفان رضي الله عنه وواراها في البقيع، بعد أن تجاوزت التسعين من عمرها.

** وبذلك انطَفأ السِّراج، وانتقَلت إلىٰ جوار الله مع الصدِّيقين والصالِحين. ولكن بقيت ذكراها في نفوس المؤمنين فقد ذكر الزهري قال: حدثني حرملة مولىٰ أسامة بن زيد أنه بينما هو جالس مع ابن عمر رضي الله عنهما إذ دخل الحجاج بن أيمن فصلىٰ صلاة لم يتم ركوعها ولا سجودها، فدعاه ابن عمر، وقال: أتحسب أنك قد صليت؟

إنك لم تصل فعد إلىٰ صلاتك، فلما ولىٰ قال ابن عمر: من هذا؟

فقلت: الحجاج ابن أيمن ابن أم أيمن.

فقال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه.

أم أيمن

صفحة مِن صفحات الخلود

تجلَّت في امرأة الأمسِ

فلله درُّ امرأة

عاشَت جيلًا مِن الزمن

فرفعَت به المرأة إلىٰ حياة الخلود

3

أم حرام بنت ملحان وجبت لها الجنة

قال الرسول ﷺ : «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا (أي وجبت لهم الجنة) قالت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم**» .

نسبها وأسرتها

**أم حرام بنت ملحان بن خالد الأنصاريَة الخزرجية من بني النجار أخوال رسول الله ﷺ ؛ لأن آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ من بني النجار بالمدينة.

** أمها.. مليكة بنت مالك بن عدي بن النجار. فهي من بني النجار من ناحيتي الأب والأم.

** أختها.. أم سليم ـ الرميصاء ـ بنت ملحان والمبشرة بالجنة رضي الله عنها .

** ابن أختها.. أنس بن مالك رضي الله عنه خادم الرسول ﷺ .

** زوجها الأول.. الصحابي عمرو بن قيس رضي الله عنه شهد بدرًا، واستشهد مع ابنه في أحد.

** زوجها الثاني.. الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه من الموصوفين بالورع والفقه، وهو واحد ممن شهدوا العقبة مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد بدرًا وأحدًا والخندق

وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -، كان أحد كُتاب الوحي، وأحد معلمي القرآن وجامعيه.

** أخوها.. سليم بن ملحان بن خالد رضي الله عنه شهد بدرًا وأحدًا، واستشهد يوم بئر معونة.

** وأخوها.. حرام بن ملحان بن خالد رضي الله عنه أحد الشعراء، شهد بدرًا وأحدًا، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلىٰ عامر بن الطفيل، وهو القائل عندما طعن من خلفه برمح: فزت ورب الكعبة.

** ابنها الأول.. قيس بن عمرو بن قيس رضي الله عنه شهد بدرًا، واستشهد مع أبيه في أحد.

** ابنها الثاني.. عبد الله بن عمرو بن قيس رضي الله عنه .

** ابنها الثالث.. محمد بن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

✍..انتبه:

آل ملحان من الصحابة الأخيار الذين تذوقوا حلاوة الإيمان، فسرت في نفوسهم محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، فربحوا الدنيا والآخرة. فهؤلاء الفائزون ساهموا – رجالًا ونساءً– في دروب الخير من علم وكرم وإيثار وغير ذلك، وكان همّهم الفوز برضا الله عز وجل ومرضاة رسوله ﷺ .

إسلامها:

** في مكة وبالتحديد في موسم الحج، عرض الرسول ﷺ نفسه علىٰ القبائل القادمة من أنحاء الجزيرة العربية. وكان من بين الذين لقيهم من أهل يثرب، ومن بني أخواله بني النجار حرامُ بن ملحان أخو أم حرام، وعبادة بن الصامت، زوج أم حرام، فشرح الله صدورهم له

وتشبعوا بروح القرآن، وآمنوا بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا، وكلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ آية أو سورة، صادفت في نفوسهم هوىٰ وفي أفئدتهم تجاوبًا، وصاروا يرددونه في مجالسهم، وينشرونه في أهل المدينة بعد عودتهم إلىٰ ديارهم.

** صادفت آيات القرآن وسوره من أم حرام وأختها أم سليم تجاوبًا، فاعتنقت الأختان أم حرام وأم سليم الدين الإسلامي؛ لأنه صادف ما فطرتا عليه من فضائل، فاستجابتا بسرعة وشرعتا بتطبيق مبادئه وتعاليمه، فكانتا من أوائل المسلمات في المدينة

استقبال الرسول ﷺ :

** اعتنقت الأختان أم حرام وأم سليم الدين الإسلامي، وجلس حرام بن ملحان يعلم الأختين، ويسرد علىٰ مسامعهما ما لقيه رسول الله ﷺ من عناء في سبيل نشر الدعوة، والأذىٰ الذي كان لحق به من كفار مكة. ثم يلقن الأختين آيات القرآن الكريم، وتعاليم دينهما، حتىٰ أصبح الإسلام جزءًا من حياتهما وصارت تعاليمه أساس سلوكهما.

** ومضت الأيام والليالي الطوال وهم يرتلون ويحفظون، وينتظرون هجرة رسول الله ﷺ بفارغ الصبر ولا سيما أنه سينزل في ضاحية قباء قبل وصوله المدينة؛ لأنها في طريق هجرته من مكة. وما دامت الأختان تسكنان في قباء فسوف يكون شرف استضافة رسول الله ﷺ لهما.

** وكلما مضت الأيام يزداد الشوق للقاء رسول الله ﷺ ، والتطلع إلىٰ طلعته البهية. وكان حظ أم حرام وأم سليم من استقباله

حظًّا كبيرًا، فهن بنات أخواله من جهة وبيتها وبيت أختها في قباء على طريق هجرته.

** وآن الأوان وأذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة، وكانت قباء أول مكان ينزل به رسول الله ﷺ من ضواحي المدينة، وهي سكن لبني عمرو بن عوف. وعبادة بن الصامت منهم وزوجته أم حرام من بني النجار أخوال رسول الله.

** وصل الرسول ﷺ إلى قباء، فاستقبله أهلها بالأفراح والأناشيد. واستضافت قباء رسول الله ﷺ وأصحابه أربعة أيام هي الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج من بينهم يوم الجمعة.

** ولعل أسعد أيام أم حرام، كانت الأيام التي استضافت فيها قباء رسول الله ﷺ وصحبه، فقد سمعت - عن كثب - أقواله ﷺ ، ورأت كثيرًا مما غمض عليها من أمور دينها.

جهادها:

** لم يكد رسول الله ﷺ يستقر في المدينة، حتى بدأ نشاطه وأصحابه لنشر الدين في الجزيرة العربية، وشرعت الغزوات تتوالى الواحدة تلو الأخرى ضد المشركين فبدأت بغزوة بدر وختمت بغزوة تبوك.

** فهل كان لنساء الصحابة دور في تلك الغزوات؟

** الجواب.. نعم، كان لنساء الصحابة ـ رضوان الله عنهن ـ دورًا كبيرًا، عرفناه عند أمهات المؤمنين ولدى الصحابيات الجليلات بدءًا من صفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة وأم سليم، وأم أيمن، وغيرهن، وغيرهن.

** فهل أم حرام بنت ملحان ستبقىٰ حبيسة بيتها، قعيدة في زاويته مستسلمة مستكينة، والمسلمون يغزون في كل مكان؟

** لا. لا بد أنها كانت مع أختها أم سليم ومثيلاتها من النساء، يرافقن الرجال إلىٰ الغزوات والمعارك، لهن أعمال كثيرة محددة، وأدوار هامة يقمن بها، منها تشجيع المحاربين وبث الحماس في نفوسهم، وتذكيرهم بأجر المجاهدين في الدنيا والآخرة، وبمنزلة الشهداء عند رب العالمين. بالإضافة إلىٰ أنهن يساعدن في خدمة من يحتاج إلىٰ مساعدة من المقاتلين، ويحملن الماء يروين ظمأ الجرحىٰ الظامئين، ويضمدن الجراح ويداوين المرضىٰ ويسهرن علىٰ راحتهم أثناء المعركة وبعد انتهائها. فهذه كلها أعمال تحصل في الخطوط الخلفية من المعارك لإحراز النصر، إنها أعمال الجندي المجهول، وأم حرام جاهدت في أواخر حياتها فكيف لا تكون مجاهدة في شبابها؟

** ساهمت أم حرام في معارك أحد وحنين والخندق والفتح والطائف مع زوجها عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

مسجد قباء:

**مَسْجِدُ قُبَاءٍ أول مسجد بني في الإسلام، وأول مسجد بني في المدينة النبوية، ويقع المسجد إلىٰ الجنوب من المدينة المنورة، بني المسجد من قبل النبي محمد ﷺ وذلك حينما هاجر من مكة متوجهًا إلىٰ المدينة، وقباء قرية علىٰ ميلين من المدينة المنورة.

** يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله ﷺ «**يأتي مسجد قباء راكبًا أو ماشيًا، فيصلي فيه ركعتين**» (1).

(1) رواه مسلم.

❊❊ فقد كان لرسول الله ﷺ زيارات منظمة لقباء. وبسبب المسافة التي تبعدها عن المدينة- وهي ضاحيتها- كان يبقىٰ فيها ضيفًا عند عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام، أو عند أنس بن مالك وأمه أم سليم، وكلتا الأختين في دار واحدة، فيطعم عندها أو لدىٰ أختها ثم يقيل هناك. حتىٰ يقوم إلىٰ شأنه وحاجته من لقاء الأصحاب والصلاة بهم وتعليمهم شؤون دينهم.

❊❊ ويقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل علينا رسول الله ﷺ ما هو إلا أنا وأمي، وخالتي أم حرام بنت ملحان، فقال: قوموا فلأصلي بكم، فصلىٰ بنا في غير وقت صلاة.

✍.. **هل تعلم؟!**

أن مسجد قباء، يعتبر من أبرز المساجد في الإسلام لعدة خصائص تميَّز بها عن غيره، منها:

- أنه أول مسجد بُني في الإسلام.

- أن فيه وفي أهله نزلت الآية: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

[سورة التوبة] .

- الصلاة في مسجد قباء كعمرة إلىٰ بيت الله الحرام قال النبي ﷺ : «**الصلاة في مسجد قباء كعمرة**»(1).

- - يُسَنُّ لزائر المدينة زيارة مسجد قباء والصلاة فيه؛ لأن النبي ﷺ كان يزور مسجد قباء راكبًا وماشيًا، ويُصَلِّي فيه ركعتين، كما كان

---

(1) رواه الترمذي.

يفعل النبي ﷺ .

البشرى بالجنة:

** يقول الإمام النووي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: اتفق العلماء علىٰ أن أم حرام ـ وأم سليم ـ كانتا محرمًا له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك.

فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدىٰ خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه.

** دخل رسول الله ﷺ علىٰ أم حرام فأطعمته وجعلت تفلّي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: وما يضحكك يا رسول الله؟

قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج (الثبج هو ظهر الشئ) هذا البحر ملوكًا علىٰ الأسرة أو مثل الملوك علىٰ الأسرة.

قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: وما يضحكك يا رسول الله؟

قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا علىٰ الأسرة أو مثل الملوك علىٰ الأسرة.

قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: أنت من الأولين.

وعن الرسول ﷺ : أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا (أي وجبت لهم الجنة)، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر

مغفور لهم[1] .

✍.. انتبه

(وجعلت تفلي رأسه) أي تفتش، ولا يلزم من ذلك وجود الهوام، فكثير ما يكون ذلك لتخدير الجسم، وارتخائه استجلابًا للنوم؛ لذا قال الراوي (فنام رسول الله ﷺ).

وتحققت البشرى:

❊❊ ألح معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو والٍ على الشام على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، خليفة المسلمين، أن يذهب لغزو قبرص ولج عليه (أي ألح عليه وكرر) حتى قال لعمر: إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم، وصياح دجاجهم. فكاد بذلك أن يأخذ بقلب عمر بن الخطاب.

❊❊ والروم كانوا قد جعلوا من قبرص مركزًا لهم، لغزو المسلمين في الشام فكان لا بد من تحريرها وتطهيرها من سيطرتهم. ولم يكن للمسلمين عهد بغزو البحر؟ لذلك فوجئ عمر بن الخطاب بإلحاح معاوية. وجعل يفكر في غزو البحر وصعوبته، فلم يجد أعرف بذلك الأمر من عمرو بن العاص رضي الله عنه . فكتب إلى عمرو يقول: صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه.

❊❊ فكتب عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب قائلًا: إني رأيت خلقًا كبيرًا، يركبه خلق صغير. ليس إلا السماء والماء، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول. يزداد في اليقين قلة والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق وإن نجا برق.

(1) رواه البخاري.

فلما قرأ عمر بن الخطاب الكتاب كتب إلىٰ معاوية بن أبي سفيان: والذي بعث محمدًا بالحق، لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا، وقد بلغني أن بحر الشام يشرف علىٰ أطول شيء من الأرض، فيستأذن الله في كل يوم وليلة أن يغرق الأرض؟ فكيف أحمل بالجنود علىٰ هذا الكافر المستصعب. وبالله لمسلم واحد أحب إلي مما حوت الروم.

ورفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلب معاوية؛ حرصًا علىٰ أرواح المسلمين الذين يجهلون ركوب البحر ومخاطره.

** بقيت فكرة غزو البحر تراود معاوية، فلما قتل عمر بن الخطاب وتولىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنهما كتب معاوية بن أبي سفيان إلىٰ عثمان بن عفان بشأن غزو قبرص، ولم يزل به حتىٰ وافقه علىٰ ركوب البحر.

** فرحة عارمة، اكتنفت الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، عندما وصله جواب الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يأذن له بتأسيس قوة بحرية عسكرية، للمرة الأولىٰ في التاريخ الإسلامي.

وكان معاوية أمير ولاية الشام آنذاك تواقًا لغزو البحر، لإدراكه حقيقة الخطر الذي يمثله الروم، بسيطرتهم علىٰ البحر المتوسط، وإعادة احتلال الإسكندرية عام 25 هـ، بالإضافة إلىٰ ما ولد لديه من قناعة بضرورة السيطرة علىٰ البحر لحماية الثغور، وتمهيدًا لفتح أوروبا خاصة القسطنطينية، التي بشّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

** جاءت موافقة الخليفة عثمان بن عفان علىٰ إنشاء الأسطول البحري بشرطين، أن يشارك معاوية شخصيًّا وأفراد أسرته، في هذا الغزو ليطمئن الخليفة عثمان إلىٰ كون هذه الخطوة آمنة.

أما الثاني: فألَّا يُلزم معاوية أحدًا مِن جنود المسلمين، بالمشاركة في العمليات البحرية، بل يخوضها المتطوعون.

** ترامىٰ إلىٰ مسامع أم حرام، وهي في قباء، استئذان معاوية بن أبي سفيان من عثمان بن عفان أن يغزو في البحر وموافقة عثمان علىٰ ذلك، فتذكرت نبوءة رسول الله ﷺ ، وكانت قد وصلت إلىٰ خريف العمر، وبلغت من الكبر مرحلة لا تستطيع أن تجاهد فيها لكنها تلهفت لركوب البحر والجهاد في سبيل الله، ألم يقل لها رسول الله ﷺ (أنت من الأولين؟) إنها لا تطمع بمغنم ولا تتوق لفوز، ولكن رغبتها في الجهاد هي التي كانت تدفعها.

** بعد بناء سفن الأسطول الإسلامي الأول، في دار الصناعة بميناء طرابلس، حيث تتوافر أخشاب الصنوبر اللبناني القوي والبلوط والعرعر، التي تصلح لبناء السفن، بالإضافة إلىٰ استصلاح السفن التي غنمها المسلمون من البيزنطيين، تم فتح باب التطوع سنة 28هـ، فأقبل المسلمون أفواجًا رجالًا ونساء، لنيل شرف تحقيق البِشارة النبوية، التي أُطلقت من بيت الصحابية الجليلة أم حرام بنت ملحان، بعبور المسلمين للبحر وفتحهم لجزيرة قبرص.

** طلبت أم حرام من عبادة زوجها أن يستأذن لها عثمان بن عفان، وألحت في طلبها، حتىٰ وافق لهما عثمان بمرافقة الجيش، كما أذن لغيرهما من كبار الصحابة أمثال أبي ذر الغفاري وأبي الدرداء وغيرهما.

** اتجهت أم حرام مع زوجها إلىٰ حمص، حيث أقامت فترة،

ريثما تعبأ الجيوش، وتنظم الفرق وجلست هناك تحدث خبر رسول الله ﷺ وكيف بشرها بالغزو بالبحر، وأنها من الأولين السابقين في ذلك الغزو وتفاءلت إلىٰ أبعد حد، أنها ستجاهد مع جيش معاوية فتتحقق نبوءة رسول الله ﷺ .

** وآن وقت التنفيذ وجهزت السفن، وأبحر أسطول المسلمين المكون من 120 سفينة من ميناء عكا، متجهًا إلىٰ قبرص بجيشٍ ضم عددًا كبيرًا من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، بل إن معظمه كان منهم، ومن بينهم معاوية بن أبي سفيان وأولاده وزوجته وأخته بنت قرظة، وأبو أيوب خالد بن يزيد بن كليب الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعمير بن سعد الأنصاري، ووائلة بن الأسقع الكناني، وعبد الله بن بشر المازني، وحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ وغيرهم.

** ركبت أم حرام مع زوجها عبادة إحدىٰ السفن، مع الفاتحين المسلمين، وجلست تتأمل البحر وما حولها: إنهم فعلًا كالملوك علىٰ الأسرة، وإذا بنبوءة رسول الله ﷺ تتردد في أذنيها: كالملوك علىٰ الأسرة، أنت من الأولين، وتحس فعلًا أنهم كالملوك علىٰ الأسرة مع يقينها أنها من الأولين، وشرعت تحدث من حولها بنبأ تلك النبوءة وتفخر وتسعد بذلك.

** رسا الأسطول الإسلامي علىٰ ساحل قبرص وأغار المسلمون عليها، واشتد القتال بين المسلمين وأهل قبرص في البر والبحر، حتىٰ استسلموا للمسلمين وطلبوا الصلح من معاوية الذي أجابهم إليه

بشروط، أهمها: ألَّا يقاتلوا المسلمين، ولا يعاونوا الروم علىٰ ذلك، بل عليهم أن يبلّغوا المسلمين بما يهدِّد أمنَهم من تحركات الروم، وأن يعيِّنَ المسلمون عليهم قائدًا من أنفسهم، وأن يدفعوا الجزية، سبعة آلاف دينار، يؤدونها للمسلمين في كل سنة.

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك :

** انتهت المعركة واستعد الجيش للعودة من حيث جاء وقد غنم وما غرم، وبدأ المقاتلون يرجعون إلىٰ الشام علىٰ سفنهم، كالملوك علىٰ الأسرة، وتهيأت أم حرام للعودة متوكلة علىٰ الله عز وجل. ولكنها كانت قد أسنت وضعف جسدها، ووهنت قوتها، فقد بلغت من العمر ستة وثمانون عامًا، فقربوا لها بغلة تمتطيها، لتوصلها إلىٰ السفينة المعدة لها، فسقطت من عليها علىٰ عنقها علىٰ الأرض.

** أسرع إليها زوجها عبادة، وعدد من كبار الصحابة يساعدونها ويسعفونها لكنها كانت قد لفظت أنفاسها الأخيرة، مطمئنة النفس باسمة الثغر مشرقة المحيا، فنقلوها إلىٰ حيث قاموا بتجهيزها ودفنت في نفس الموضع الذي سقطت فيه، وذلك في العام السابع والعشرين من الهجرة، ويعرف المكان باسم «قبر المرأة الصالحة»، والموجود في مدينة (ليماسول) القديمة القريبة من مدينة (لارْنَاكا).

** وعند جامع «لارناكا الكبير» - الذي شيد سنه 1231هـ / 1881م - من أشهر جوامع قبرص، ويوجد عنده قبر أم حرام رَضِوَٱللَّهُعَنْهَا، واكتشف قبر الصحابية أم حرام عام 1760م من قبل رجل يُدعىٰ الشيخ حسن.

✍ **انتبه :**

إن من البطولة أن تذهب المرأة للجهاد وفي سبيل الله، ومن البطولة أن تموت غازية في أرض بعيدة عن الوطن، ثم تدفن فيها. فالثبات علىٰ المبدأ، والخروج للجهاد في سبيل نشره، والموت دفاعًا عنه؛ يعتبر من النوادر بالنسبة للرجال فكيف الأمر بامرأة كأم حرام!؟

أمران هما العجيبان في أمر أم حرام: أولهما أنها امرأة مصرة علىٰ الجهاد في سبيل الله، شابة وكهلة. فقد طلبت من رسول الله ﷺ في شبابها أن يدعو لها بأن تكون من المجاهدين مع الرجال. وقد جاهدت فعلًا في كهولتها. وثانيهما أن تكون منيتها في قبرص، في وسط البحر الأبيض المتوسط، بعد أن جاهدت مع الرجال وهي في سن الكهولة.

كان من الممكن أن تصبر كما صبرت سمية رضي الله عنها ، فتموت من وقع الأذىٰ والاضطهاد في سبيل الدين. وكان من الممكن أن تحارب في المعارك القريبة أو البعيدة، في جزيرة العرب كما فعلت أم عمارة رضي الله عنها .

يمكنها أن تنال الكثير وهي في جزيرة العرب، يكفيها الرجال مؤونة الخروج للفتح ونشر الدين في بقاع الأرض.

لكن ما يزيل عجبنا، أن أم حرام نبعت من أسرة أساسها الإيمان، وهدفها الجنة، ووسيلتها الجهاد في سبيل الله.

✍ **لطيفة :**

سيبقىٰ قبر الصحابية الجليلة أم حرام رضي الله عنها في قبرص، شاهدًا علىٰ استبسال المرأة المسلمة، واستعدادها للتضحية في سبيل الله حتىٰ

الشهادة، دون تفريق بين البر والبحر.

من تلاميذها:

ماتت أم حرام، وتركت الدنيا، ولكنها تركت بها تلاميذ لها يرون عنها الحديث، ويعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم ومنهم أنس بن مالك (ابن أختها) وعطاء بن يسار، وعمير بن الأسود العنسي، ويعلىٰ بن شداد بن أوس (المزي في تهذيب الكمال).

وهكذا تحققت آمال أم حرام بالشهادة، وسجّلت في سجل الأوائل فهذه لمحات شذية عبقة من حياة هذه الصحابية الجليلة التي عاشت حميدة، وماتت شهيدة، وتحققت بشارتها بالجنة إنها رائدة في سبقها للإسلام والالتزام بمبادئه.

رائدة في المشاركة بغزوات رسول الله ﷺ.

رائدة في نقل أحاديثه عليه الصلاة والسلام وحفظها وروايتها.

رائدة في شبابها.

رائدة في شيخوختها وفي استشهادها.

رائدة في كل أمورها.

4

أم رومان بنت عامر
من الحور العين

قال الرسول ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلىٰ امرأة من الحور العين فلينظر إلىٰ أم رومان**» .

نسبها وأسرتها:

** أم رومان بنت عامر بن عويمر بن مضر بن عدنان، الفراسية الكنانية. نشأت في منطقة بجزيرة العرب اسمها السراة، وكانت ذات أدب وفصاحة.

** زوجها الأول.. عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن جرثومة بن عادية بن مرة الأزدي، وكان أحد شباب عصرها البارزين في قومه، وكان زوجها عبد الله بن الحارث يرغب في الإقامة في مكة، فدخل في حلف أبي بكر الصديق، وذلك قبل الإسلام، وتوفي عبد الله بن الحارث بعد فترة بسيطة وذلك قبل الإسلام.

** زوجها الثاني.. عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي تزوجها إكرامًا لصاحبه عبد الله بن الحارث بعد مماته ورعايته لابنها الطفيل بن عبد الله بن الحارث. وأبو بكر الصديق أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول الخلفاء الراشدين، وأفضل الناس بعد الأنبياء والرسل.

** ابنها الأول.. الطفيل بن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه ، وقد ينسب

إلىٰ جده، فيقال: طفيل بن سخبرة.

** ابنها الثاني.. عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

** ابنتها الثالثة.. عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

إسلامها:

** عندما بعث النبي ﷺ بالرسالة الإلهية كان عبد الله بن أبي قحافة ـ أبو بكر ـ أول من آمن بالرسول ﷺ وصدقه في دعوته الإسلامية وعرف واجبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن عليه المساهمة في الدعوة الإسلامية.

** عمد أبو بكر إلىٰ زوجته أم رومان في البداية، وأخذ يحدثها عن الدين الإسلامي الجديد، ويدعوها للدخول فيه، فآمنت بالله وبرسوله ﷺ وحسن إسلامها بالله ـ عز وجل ـ، فاستكتمها الأمر إلىٰ أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

أم رومان والرسول ﷺ :

** كان الرسول ﷺ يتردد علىٰ بيت أبي بكر باستمرار ليجد فيه الأمان والراحة والاستقرار، فيتلقاه رفيقة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل حب وترحاب، وكذلك زوجه أم رومان بالبشر والسرور، وتضيفه أحسن الضيافة، وتحاول أن تؤمن له كل راحة واستقرار؛ ليغدوا منزلها أول بيت إسلامي تعلوه كلمة الله ـ عز وجل ـ، ولينهلوا مما يعلمهم اياه رسول الله ﷺ من تعاليم الإيمان والإسلام ومشاركته كذلك في دعوته التي بعث لأجلها.

أم رومان وزوجها:

** كانت أم رومان مثال الزوجة الوفية الصالحة الطاهرة التي

تقف إلىٰ جانب زوجها لتخفف عنه آلامه، وتواسيه في تلك الأيام الصعبة التي يقف بها المسلمون الأوائل، بل كانت تشد من أزر زوجها وتشاركه في حماسه، وما يبذله في سبيل الدعوة الإسلامية نصرة للحق والإيمان، ونصرة رسول الله ﷺ علىٰ قومه الذين أبوا إلا الكفر.

** كانت أم رومان تتألم لما يلحق بالمسلمين من العذاب علىٰ أيدي المشركين، وكانت تسمع النبي ﷺ يحثهم علىٰ الصبر، فكان يسعدها أن ترىٰ زوجها الصديق ينقذ المؤمنين المستضعفين من العذاب، فيعتقهم من خالص ماله، فتشد أزره وتعاونه في عمله الطيب المبارك، ولو بالكلمة الطيبة.

✍ **قف.. وانتبه :**

كانت أم رومان مثال الزوجة الوفية الصالحة الطاهرة التي تقف إلىٰ جانب زوجها لتخفف عنه آلامه، فالبيت المسلم الذي فيه حنان زوجي، والذي فيه تفاهم، والذي فيه تعاون، والذي فيه مشاركة، هذا البيت يقوىٰ علىٰ مواجهة مصاعب الحياة، الحياة فيها صعوبات كثيرة، لكن لو أكلت مع زوجتك أخشن الطعام، ولو كان البيت صغيرًا جدًّا، التفاهم والود يغنيك عن كل شيء.

هذه السيدة الجليلة وقفت مع زوجها تَشُدُّ أزره، وتواسيه، وتقويه، وتأسو جراح نفسه، وما أكثر ما لقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عناد المشركين ومن أذاهم، وصبرت وهي بجانبه وصابرت، وساعدته بكل ما تستطيع في سبيل تبليغ دعوة الإسلام إلىٰ الناس، فقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من السائرين علىٰ هذا الطريق، متحديةً كل ما فيه من عقباتٍ وصعاب، فمن المسائل المهمة في توفير الأمن العائلي هو التعاون بين الرجل

والمرأة، إذ ليس من اللياقة أبدًا أن تقف المرأة مكتوفة اليدين وهي ترىٰ زوجها يكافح ويكدح ويتصبب عرقًا وينزف جهدًا في سبيل توفير لقمة العيش الكريم، والدعوة إلىٰ الله.

وليس من المنطق مطلقًا أن يجلس الرجل في زاوية من البيت دون اكتراث بزوجته التي تدور في البيت هنا وهناك.. تغسل الثياب وتطهو الطعام وترتب أثاث البيت، أو أن يتركها دون أن يعلمها دينها ويساعدها في الدعوة له.

إن التعاون بين الزوجين يشيع أجواء المحبة والدفء في فضاء الأسرة ويزيدها مهابة وجلالًا.

يتحمل الزوجان مسؤولية بث الدفء في أجواء الأسرة، غير أن المرأة بما وهبها الله من العاطفة تتحمل القسط الأكبر في ذلك. فالمرأة مخزن للعواطف الإنسانية وينبوع الحب الصافي.

إنها بروحها الوثّابة يمكنها أن تشيع النشاط والحيوية في البيت، وبابتسامها الحنون تتبدد السحب ويتلاشىٰ الضباب فتشرق شمس الحب وتغمر المنزل بالدفء والنور.

المرأة سيد البيت والمسؤول الأول في إدارة مملكتها الصغير. إنها ومن خلال مهارتها يمكنها أن تجعل جميع الأشياء فيه تنبض بالحياة.

ينبغي علىٰ المرأة أن تحول بيتها إلىٰ واحة صغيرة وارفة الظلال، فإذا عاد زوجها بعد عناء يوم حافل بالنشاط والجهد وجد جميع الأشياء وكأنها تستقبله، فيشعر بالراحة تغسل كل تعبه وهمومه.

تتحمل المرأة مسؤولية كبرىٰ في الحياة الأسرية، بل أنها تشكل

محور الأسرة، فعليها تقع مسؤولية إدارة المنزل وتربية الجيل تربية صحيحة.

✍ **لطيفة :**

الزوجة الصالحة المؤمنة بدعوة الحق تذلل كثيرًا من الصعاب لزوجها الداعية إذا شاركته في همومه وآلامه، وبذلك تخفف عنه عبء هذه الهموم، وتبث في نفسه الاستمرار والثبات، فيكون لها أثر في نجاح الدعوة وانتصارها، وموقف السيدة خديجة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ وأم رومان من أبي بكر الصديق لهو المثل الأعلىٰ لما تستطيع الزوجة المؤمنة بدعوة الخير أن تلعبه من دور كبير في نجاح زوجها الداعية، وثباته واستمراره في دعوته، وفقد مثل هذه الزوجة في احتدام معركة الإصلاح خسارة كبيرة لا يملك معها زوجها الداعية إلا أن يحزن ويأسىٰ.

أم رومان وأولادها:

كانت أم رومان الأم العطوف والحنون، الحانية المربية لأطفالها، فقد أخذت عبد الرحمن وعائشة بالقلب الكبير والتربية الصالحة الطاهرة، وذلك لأنهم من صلب طاهر رحيم؛ لترعاهم أحسن رعاية وتربيهم، وكانت تعلمهم الإسلام وحب الرسول ﷺ، وحب والدهما رضي الله عنه .

✍ **اعلم:**

أن الأم هي اللبنة الأساسية من أجل بناء المجتمع، والأم هي المدرسة والمربية التي تنشئ الأجيال الصاعدة، فإن صلحت الأم صلح المجتمع، وإن فسدت الأم فسد المجتمع؛ حيث أن الأم يقع

علىٰ عاتقها مسئولية تربية الأولاد منذ الصغر . وتحتل الأم النصيب الأكبر في تربية الأولاد، وذلك بسبب أن الأب يغيب عن المنزل لساعات طويلة من النهار، فتكون هي الأكثر مقابلة للأطفال، ونلاحظ أن ارتباط الأطفال بأمهم أكبر من ارتباطهم بأبيهم، وذلك لأن الأم هي مصدر الحنان.

وتتلخص أولىٰ مهام الأم في التربية في إعطاء الطفل الحنان الذي يحتاجه؛ حيث أن أهم الأمور التي يحتاجها الطفل هي الحنان، فإن فقد الحنان يسبب الكثير من المشاكل والمتاعب للطفل، ونرىٰ الكثير من الأطفال يتجهون في السلوك الخاطيء بسبب فقرهم للحنان.

لذلك فإن نقطة البداية أن تشعر الأم بأهمية التربية وخطورتها، وخطورة الدور الذي تتبوأه، وأنها مسؤولة عن جزء كبير من مستقبل أبنائها وبناتها، وحين نقول التربية فإنا نعني التربية بمعناها الواسع الذي لايقف عند حد العقوبة أو الأمر والنهي، كما يتبادر لذهن طائفة من الناس، بل هي معنىٰ أوسع من ذلك.

فهي تعني إعداد الولد بكافة جوانب شخصيته: الإيمانية، والجسمية، والنفسية، والعقلية الجوانب الشخصية المتكاملة أمر له أهمية وينبغي أن تشعر الأم والأب أنها لها دور في رعاية هذا الجانب وإعداده.

وفي جانب التنشئة الدينية والتربية الدينية يحصرها كثير من الناس في توجيهات وأوامر أو عقوبات، والأمر أوسع من ذلك، ففرق بين شخص يعاقب ابنه حيث لا يصلي وبين شخص آخر يغرس عند ابنه

حب الصلاة، وفرق بين شخص يعاقب ابنه حين يتفوه بكلمة نابية، وبين شخص يغرس عند ابنه رفض هذه الكلمة وحسن المنطق، وهذا هو الذي نريده حين نتكلم عن حسن التربية، فينبغي أن يفهم الجميع – والأمهات بخاصة – التربية بهذا المعنىٰ الواسع.

خطبته ابنتها:

** لَمَّا مَاتَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا تَزَوَّجُ؟!

قَالَ: "وَمَنْ؟

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا.

قَالَ:" وَمَنِ الْبِكْرُ؟ وَمَنِ الثَّيِّبُ؟

قَالَتْ : أَمَّا الْبِكْرُ ، فَابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْكَ : عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَمَّا الثَّيِّبُ، فَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ.

قَالَ:" اذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ.

** ذهبت خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ إلىٰ أُمِّ رُومَانَ فَقالت لها: يَا أُمَّ رُومَانَ، مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟

قَالَتْ: وَذَاكَ مَاذَا؟

قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ عَائِشَةَ.

قَالَتْ : انْتَظِرِي ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ آتٍ – وهذا من الأدب مع الزوج –.

جاء أبو بكر، فقالت له خولة: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟! أرسلَنِي رسول الله ﷺ لأخطُبَ له عائشة.

فقال الصدِّيق: وهل تصلح له؟! إنما هي بنت أخيه.

** رجعتُ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقالت له ما قال أبو

بكر، فقال: ارجِعي إليه فقولي لـه: أنـا أخـوك وأنـت أخـي في الإسـلام، وابنتك تصلح لي. فرجعت خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ إلىٰ أبـي بكـر، فقالـت لـه ما قاله لها الرسول ﷺ .

** لما سمع أبو بكر ما قالـه الرسـول ﷺ بـرزت لـه مـشكلة، فقـد ذكر المُطعِم بن عدي أنه يَرْغَب في أن يزوِّج ابنه جُبَيرًا من عائشة، وأبـو بكـر مـا أقـرَّ ولا نفـىٰ، ولكـن سـكوته شـبه وعـد، فـلا يقـدر أن يبـتَّ في الأمـر، للوفـاء بالوعـد فقـال لخولـة: انتظريني حتـىٰ أرجـع. وانـصرف خارجًا من البيت.

قالت أمُّ رُومان تُوضِّح الموقف لخَوْلَـة: إن المُطعِـم بـن عـدي كـان قـد ذكـر عائـشة علـىٰ ابنـه جُبَيـر، ولا والله مـا وعـد أبـو بكـرٍ شـيئًا قـطُّ فأخلف.

** دخـل أبـو بكـر علـىٰ مُطعِـم وعنـده امرأتـه أم جُبَيـر، وكانـت مُشرِكةً، فَقَالَ له: مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ؟

فَأَقْبَلَ المطعم عَلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: مَا تَقُولِينَ؟

فَأَقْبَلَتْ زوجة المطعم عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يا ابن أبـي قُحافـة، لعلَّنـا إن زوَّجنا ابننا من ابنتك أن تصبئه وتُدخِله في دينك الذي أنت عليه.

لـم يردَّ عليها أبو بكر إطلاقًا بل التفَتَ إلـىٰ زوجهـا المُطعِـم، فقـال: ما تقـول هـذه؟- أي: أنـتَ موافـق؟ هـل حقًّـا تخـاف إن زوَّجْـت ابنـك ابنتي أن يدخل معي في الإسلام؟

فقال المطعم: إِنَّهَا لَتَقُولُ مَا تَـسْمَعُ، أي: أيَّـدَها، ووافَقَهـا، واعتَمَـد قولها.

فقال أَبُو بَكْرٍ للمطعم : مَا تَقُولُ أَنْتَ؟

فخرج أبو بكرٍ ﵁ وقد شعر بارتياحٍ لِمَا أحلَّه الله من وعده، وعاد إلىٰ بيته.

** عاد أَبُو بَكْرٍ لبيته، وقال خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ: قُولِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَلْيَأْتِ. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وخطبها، وكان عمرها ست سنوات يومئذ.

ومن ذلك الحين وأم رومان تتشرف بقرابة المصاهرة من الرسول ﷺ، وكان لها عنده ﷺ مكانة خاصة لتُقوَاها وإيمانها.

** وكان رسول الله ﷺ يختلف إلىٰ بيت أبي بكر فيوصي أم رومان بعائشة، فيقول: يَا أُمَّ رُومَانَ، اسْتَوْصِي بِعَائِشَةَ خَيْرًا وَاحْفَظِينِي فِيهَا(1) .

✍ **يا أُم رومانَ، استوصِي بِعائِشةَ خيرا واحفَظِينِي فِيها:**

أم رومان (أم)، وعائشة (ابنتها) والنبي يشير هنا عن مسؤولية الأم في تعليم وتربية ابنتها؛ لأن البنت تتعلم من الأم سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أم غير مباشرة، فالبنت تتعلم من الأم كيف تكون امرأة وزوجة وأم، كيف تكون مديرة لبنتها وشريكة لحياة زوجها.

والبنت تتعلم من الأم ولو بشكل مختصر درسًا في الاقتصاد، في السياسة، في الثقافة، في الروابط الاجتماعية وتكسب منها المعلومات، وفي الوقت نفسها تتعلم أجوبة لبعض المسائل السرية والخاصة، تتعلم البنت من الأم كيف تكون أمًّا، ماذا تفعل أمام ابنتها، وكيف تواجه المشاكل والصعاب النابعة من الحياة، وكيف تتمكن من حلها،

(1) رواه الحاكم.

تتعلم من أمها دروسًا في التقوىٰ والعفاف، دروسًا في النظافة والتنظيم ومئات الدروس الأخرىٰ.

إن المهم أن تعلم الأم بأنها تستطيع أن تكون سببًا في سعادة وشقاء ابنتها، وأن ما تكسبه البنت من دروس خلال وجودها مع أمها ستكون دليلًا لها من مراحل طفولتها وحتىٰ آخر عمرها. يجب أن تتعلم البنت دروسًا في الحياة، تتعلم كيف تنهض عندما تسقط، تتعلم معنىٰ المصاعب والمصائب وكيف تتخذ المواقف تجاهها، والأم يجب أن تعلّم البنت ماذا تعمل لكي تصل إلىٰ مراحل السمو والرفعة عندما تكبر، وأن تحافظ علىٰ نفسها من الطواريء والصعوبات التي تعترض طريقها.

هجرتها:

** لما هاجر النبي محمد ﷺ وأبو بكر الصديق، خلَّفا بنات النبي ﷺ وأولاد أبي بكر، وظلت أم رومان مع أولادها في مكة لا تشكو ضيقًا، ولا تظهر حاجة.

** فلما استقرَّ ﷺ بالمدينة بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وبعث معه أبا رافع مولاه رضي الله عنه ، وأَعطاهما بَيْرَيْن(البرين هو الخلخال) وخمسمائة درهم، أَخذها من أَبي بكر، يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظَّهْر، وبعث أَبو بكر معهما عبد الله بن أُريقط الكناني ببعيرين أو ثلاثة، وكتب إلىٰ عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه أَنْ يحمل أَم رُومان وعائشة وأسماء.

** خرج زيد بن حارثة وأبو رافع من المدينة مصطحبين، فلما انتهوا إلىٰ قُدَيْد اشترىٰ زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة

أَبعرة (مفرد بعير)، ثم دخلوا مكّة جميعًا فصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة، فخرجوا جميعًا، وخرج زيد وأَبو رافع بفاطمة وأُم كلثوم وسودة بنت زمعة، وحمل زيد أَم أَيمن وأُسامة.

** وبينما هم في البيداء نفر بَعير (أي شرد عن الطّريق واستعصىٰ) عائشة نفورًا منكرًا وكانت في محفَّةٍ (المِحَفَّةُ: هودج لا قُبّة له، تركبُ فيه المرأة) ومعها أم رومان، فجعلت الأم تقول: وابنتاه واعَروسَاه. حتىٰ أَدرك الركب البعير فسمعت قائلًا يقول: ألقىٰ خطامه، فألقيته، وقد هبط الثنية ثنية هَرْشَىٰ (ثنية هَرْشَىٰ وهو جبل علىٰ طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة) فسلم الله، وحفظ عائشة وأمها من السوء.

** وصل الركب المهاجر المدينة؛ فنزلْتُ عائشة وأم رومان مع آل أَبي بكر في بني الحارث بن الخزرج، ونزل آلُ النّبي ﷺ ، في البيوت التي بناها النبي ﷺ حول المسجد.

✍ **انتبه:**

منذ أن نزل الوحي علىٰ نبينا محمد ﷺ أول مرة في غار حراء؛ لم تكن المرأة في معزل عنه، ولم تكن مستبعدة علىٰ مدىٰ التاريخ الإسلامي المشرق من المبادرة أو المشاركة في مسيرة الأمة بكل أحداثها. وإذا أردنا أن نرصد دور المرأة في الهجرة بوجه عام، والهجرة النبوية علىٰ وجه الخصوص فإننا ندرك الحقائق التالية:

1/ في الهجرة إلىٰ الحبشة كان عدد الرجال أحد عشر رجلًا وأربع نسوة في رواية، وفي أخرىٰ أن أول عشرة هاجروا إليها كان نصفهم من النساء.

2/ في الهجرة نفسها نجد أن الزوجات لم يفارقن أزواجهن بل

صاحبْنهم متحملات معهم مفارقة الأهل والعشيرة، وصعوبة الرحلة ومشاقّ الطريق.

3/ يصل إصرار المرأة علىٰ الهجرة بدينها مداه حين تتكرر الهجرة مرة إلىٰ الحبشة وأخرىٰ إلىٰ المدينة، فأول من قدم المدينة مهاجرًا أبو سلمة المخزومي وزوجته أم سلمة ﵄، وحين حيل بينها وبين الهجرة يذكر لنا التاريخ صفحة مشرفة يندر أن تتكرر في إصرارها علىٰ اللحاق بزوجها فتخرج كل يوم إلىٰ أطراف مكة تستشرف من يرافقها في هجرتها، وأمام إصرارها يرقُّ لها من لا يزال علىٰ كفره فيصحبها في هذه الرحلة الطويلة حتىٰ يبلغها مأمنها، وهذا الإصرار العجيب نجده في زوج عامر بن ربيعة فقد هاجرت مرة إلىٰ الحبشة بصحبته وأخرىٰ إلىٰ المدينة.

زواج ابنتها:

** كان أبو بكر الصديق وابنته عائشة وزوجته أم رومان بالمدينة في بني الحارث بن الخزرج، وكانت عائشة بلغت تسع سنوات، فمرضت بالحمىٰ، وتساقط شعرها حتىٰ شفيت، ومضت أيام وعاد لها شعرها أكثر مما كان.

** كانت عائشة تلعب في أرجوحة ومعها صواحب لها، فأتتها أم رومان فصرخت بها (أَيْ صَاحَتْ بِي وَنَادَتْنِي)، فأتتها عائشة وهي لا تدري ما تريد، فأخذت بيدها وأسرعت بها حتىٰ أوقفتها علىٰ باب الدار وهي تنهج (أَيْ أَتَنَفَّسُ تَنَفُّسًا عَالِيًا)، فلما سكن بعض نفسها، أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجه عائشة ورأسها لِيَزُولَ مَا عَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ اللَّعِبِ .

** دخلت أم رومان وعائشة الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن لعائشة في سرور وفرح: علىٰ الخير والبركة وعلىٰ خير طائر (أَيْ عَلَىٰ خَيْرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ) فأسلمتها أم رومان إليهن، فأصلحن من شأنها، فلم يرعها (أَيْ لَمْ يُفْزِعْنِي شَيْءٌ إِلَّا دُخُولُهُ عَلَيَّ وَكَنَّتْ بِذَلِكَ عَنِ الْمُفَاجَأَةِ بِالدُّخُولِ عَلَىٰ غَيْرِ عَالِمٍ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُفَزِّعُ غَالِبًا) إلا رسول الله ﷺ ضحىٰ (أي وَقْتَ الضُّحَىٰ) فأسلمتها إليه (1) .

** ولقد كانت أسماء بنت يزيد ممن جهزت عائشة وزفتها إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهي تحكي لنا عن تقديمه ﷺ اللبن إلىٰ ضيوفه وإلىٰ عروسه، فتقول أسماء: زينت عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها، فجاء فجلس إلىٰ جنبها، فأتي بلبن فشرب ثم ناوله عائشة، فاستحيت وخفضت رأسها. قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي. فأخذت وشربت شيئًا، ثم قال النبي ﷺ : «**أعطي أترابك**» .

** وقد تم هذا الزواج الميمون في شوال سنة اثنتين للهجرة وانتقلت عروسنا إلىٰ بيت النبوة، ولقد كانت هذا النقلة من أجمل ذكريات عائشة وأغلاها، وكون هذه النقلة في شهر شوال فقد أحبت أم المؤمنين هذا الشهر، واستحبت أن يُبني بنسائها في شهر شوال، فهو عندها شهر الخير والبركات.

✍ **كيف وافقت أم رومان على زواج ابنتها وهي صغيرة؟**

وللأسف الشديد هناك بعض من يسقط حدث زواج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعقلية اليوم، حيث ينظر إلىٰ بنات السن التاسعة الآن وهن صغيرات،

(1) رواه البخاري وابن ماجة.

لا يصلحن للزواج والدخول بهن، ويهدرون فروق العصر والإقليم، ويقيسون بعين الهوىٰ زواجًا عُقد في مكّة قبل الهجرة بما يحدث اليوم في بلادنا حيث لا تتزوّج الفتاة عادة قبل سنّ العشرين تقريبًا؛ لذا يتساءل كيف وافقت أم رومان علىٰ زواج ابنتها وهي صغيرة؟، ولكن بالتفكير البسيط نجد الآتي:

أولًا: أنّ زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها كان أصلًا باقتراح من خولة بنت حكيم لتوكيد الصلة مع أحبّ الناس إليه سيدنا أبي بكر الصدّيق؛ لتربطهما أيضًا برباط المصاهرة الوثيق وهذا دليل علىٰ أنها كانت في سن زواج.

ثانيًا: أنّ السيدة عائشة كانت قبل ذلك تكلم عنها المطعم بن عدي لابنه جبير، فهي إذًا ناضجة من حيث الأنوثة مكتملة بدليل رغبة المطعم بن عدي في زواجها من ابنه.

ثالثًا: أنّ قريش التي كانت تتربّص بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه من فجوة أو هفوة أو زلّة، لم تُدهش حين أُعلن نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين وأوفىٰ صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أيّ أمر طبيعي.

رابعًا: أنّ السيدة عائشة لم تكن أول صبيّة تُزفّ في تلك البيئة إلىٰ رجل في سنّ أبيها، ولن تكون كذلك أُخراهنّ. لقد تزوّج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عمّ آمنة في اليوم الذي تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هي في سنّ هالة وهي آمنة بنت وهب.

خامسًا: يجب الانتباه إلىٰ أنّ نضوج الفتاة في المناطق الحارّة مبكّر جدًّا وهو في سنّ الثامنة عادة، وتتأخّر الفتاة في المناطق الباردة إلىٰ سنّ

الواحد والعشرين كما يحدث ذلك في بعض البلاد الباردة. كما أن النساء في المناطق الحارّة يختلفن من حيث البنية والاستعداد الجسمي لهذا الأمر وبينهن تفاوت كبير في ذلك.

✍ قف!!

العمر الزمني والعمر العقلي: إنَّ النموَّ الجسدي يختلِف في بعض الأحايين عن النموِّ العقلي والنفسي؛ فقد نجد في بعض الفتيات صَغِيرات السن من الحكمة والعقل وحسن التصرُّف والاستيعاب والفهم ما لا نجده عند كبيرات السنِّ، وهذه هي الفُرُوق الفرديَّة التي لا يستَطِيع أحدٌ إنكارها.

والتاريخ والسيرة يُثبِتان أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تَفُوق أَتْرابَها في صفات عقلية ونفسية كثيرة؛ منها: حِدَّة الذكاء، وقوَّة الحافِظَة، وسرعة البَدِيهة، والجُرْأَة في قول الحق، وغيرها، فقد كانت عالِمة بالحديث والفقه، وتحفظ الشِّعر وترويه، وكانت عالِمة بالطبِّ أيضًا، بحيث يُمكِن أن نعدَّها معجزة بين أقرانها، ونضعها في مَصافِّ أعظم النساء عقلًا وحكمة.

حديث الإفك :

** كانت أم رومان تحب ابنتها عائشة حُبّا عظيمًا، وكانت تجربة (حديث الإفك) قاسية عليها، وهي تشاهد ابنتها الطاهرة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تمر بأكذوبة المنافق الكبير (ابن سلول) الذي أطلق عليها حديث الإفك، وكيف تناقلتها الألسن وكثرت الإشاعات بين الناس، فخرت أم رومان مغشيًّا عليها من هول ما سمعت بشأن ابنتها الحبيبة عائشة، فما أفاقت إلا وعليها حمىٰ بنافض (حُمَّىٰ نافضٍ: ذات رِعْدَة،

أي: جعلته يرتعد ويرتجف)، فتكتَّمت الأمر عن ابنتها رحمة بها وشفقة عليها، أخذت تدعو الله سبحانه وتعالىٰ متضرعة أن يظهر الحق، وأن يجعل لها مخرجًا من حيث لا تحتسب.

** ولما شاء الله تعالىٰ أن تعلم عائشة ما يشاع عنها بين الناس، وذلك عن طريق أم مسطح بن أثاثة، فبمجرّد أن عادت إلىٰ البيت استأذنت رسول الله ﷺ في الذهاب لأبويها، فلما رأتها أمها، قالت: ما جاء بك يا بنية؟.

قصّت عائشة رضي الله عنها علىٰ أمها الخبر شاكية باكية لائمة علىٰ ما سمعت، فظلت أم رومان تواسيها ودموعها تتساقط، وجعلت تقول: أي بنية.. هوِّني عليك، فوالله لَقَلَّ ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها ولها ضرائر إلا كثرن وكثر عليها الناس.

** استجاب الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لتلك القلوب المؤمنة الصادقة بالدعاء، فأنزل آياته الكريمة علىٰ رسوله الكريم ﷺ لتبرئة الصديقة بنت الصديق بقرآن يتلىٰ ويتعبد به المؤمنون المطهرون إلىٰ قيام الساعة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

وانكشفت غمامة الإفك، وانشرح صدر أم رومان، وحمدت الله علىٰ براءة ابنتها، وتكريم الله لها، ولكن!!

ولـكـن !!!

** نعم.. انكشفت غمامة الإفك، وانشرح صدر الأم، وحمدت الله علىٰ براءة ابنتها، وتكريم الله لها، ولكن بقية المحنة في نفس وقلب

وجسد الأم بحكم فطرتها وطبيعتها.

** نعم.. محنة حديث الإفك هي أقسىٰ ما عانت منه الصحابية الجليلة أم رومان، فأثر بها تأثيرًا كبيرًا، فمرضت علىٰ أثر ذلك مرضًا شديدًا، وبالرغم من ظهور براءة ابنتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلا أنه لم يذهب عنها المرض، بل اشتد عليها، وراحت أم المؤمنين عائشة تلازمها في مرضها إلىٰ أن أسلمت روحها الطاهرة للباريء عز وجل.

.. وبالرغم من ظهور براءة ابنتها ڤ إلا أنه لم يذهب عنها المرض:

علاقة الأم بابنتها هي العلاقة الأقوىٰ والأكثر تأثيرًا في الحياة، وهذا ينطبق علىٰ جميع الأمهات، وتعتبر الأمهات الأشخاص الأهم في حياة أي شخص عمومًا وحياة البنت خصوصًا، فالأم تنشغل بابنتها عاطفيًّا وجسديًّا وعقليًّا سواء كانت بنت أو زوجة، فإذا أصاب البنت مكروه كانت الأم الأكثر تأثرًا وهمومًا، وإذا أصابها خيرٌ كنت الأكثر فرحًا وسرورًا؛ لذا فأم رومان (كأم) تأثرت بما قيل عن ابنتها بسبب شدة التهمة فأصابها مرض (الحمىٰ)، وتمكن منها لطول المدة، فلما انكشفت الغمة ذهب الهم والحزن وبقي المرض، فما أعظم الأم؟ وهل ينشغل بها أولادها كما تنشغل هي بهم ؟!

ورحلت المربة والمواسية:

رحلت أم رومان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الدنيا بالمدينة سنة 6 هـ وقيل سنة 4 هـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا دُلِّيَتْ أُمُّ رُومَانَ فِي قَبْرِهَا، فنزل النبي ﷺ قبرها واستغفر لها الله، فقال: اللهم لم يخف ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك.

وقال أيضًا: من سره أن ينظر إلىٰ امرأة من الحور العين فلينظر إلىٰ

أم رومان.

✍.. **لطيفة:**

ـ يروىٰ أن النبي ﷺ لم ينزل في قبر أحد إلا خمسة قبور، ثلاث نسوة ورجلين، منها قبر السيدة خديجة في مكة المكرمة، وأربعة في المدينة، منها قبر أم رومان في البقيع، وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب.

والرجلان هما ابن خديجة رضي الله عنها وعبدٌ.

5

سمية بنت خياط
الموعد الجنة

قال الرسول ﷺ: «صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة».

نسبها وأسرتها

** هي.. سمية بنت خُيَّاط، وقيل خَيَّاط، وقيل ضُبَّاط. تكنىٰ: أم عمار.

** زوجها: هو ياسر بن عامر العنسي.. أول شهيد في الإسلام.

** ابنها: عمار بن ياسر.. أول من بنىٰ مسجدًا يصلىٰ فيه، وقال عنه رسول الله ﷺ : ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما(1).

زوجها :

** ياسر بن عامر عربيٌّ قحطانيٌّ مذحجيٌّ من بني عنس. وكان قدم مكة هو وأخوه الحارث والمالك من اليمن يطلبون أخاهم الرابع عبد الله، الذي فقدوه منذ سنوات، ومن ذلك الوقت وهم يطوفون في البلدان بحثًا عنه، فانتهىٰ بهم المطاف إلىٰ أرض مكة، وكانوا قد بحثوا عنه فلم يجدوه فعاد الحارث والمالك إلىٰ اليمن، واستطاب المقام لياسر في مكة، واستعذب الجوار في جانب البيت العتيق.

** أقام ياسر بن عامر بمكة، أقام ياسر بمكة وحيدًا، وكان من عادة العرب إنه إذا دخل رجل غريب إلىٰ أي بلدة واستقر بها فلابد أن

(1) رواه أحمد .

يحالف سيدًا من سادات القوم ليمنعه من أذىٰ الناس؛ ليستطيع أن يعيش حياة هادئة مطمئنة في ذلك المكان.

** لجأ ياسر بن عامر إلىٰ بني مخزوم لعقد الحِلف فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، عم أبي جهل، وأحد سادات قريش، فأحبه الرجل من أعماق قلبه لما رأىٰ من نبيل خصاله وكريم أفعاله ونفاسة معدنه، فقد كان ياسر بن عامر عربيًّا قحطانيًّا مذحجيًّا من بني عنس يحمل في عروقه سمو أخلاق العرب وأفضل خصالها. وأراد حذيفة بن المغيرة أن يتقرب من ياسر أكثر فزوجه من (أمةٍ) له تُدعىٰ(1).

**وأثمر زواج ياسر بن عامر من سمية بنت خياط غلامًا مباركًا سموه عمار ابن ياسر، وذلك قبل عام الفيل بثلاث سنوات تقريبًا. وكان عمار بن ياسر قرة عين لأبيه وأمه.

**اكتملت فرحة الأبوين يوم أن أعتق أبو حذيفة مولىٰ سمية بنت خياط المولود عمار بن ياسر وحرره من العبودية وبقيت الأسرة تعيش في حماية أبي حذيفة بن المغيرة في أمان إلىٰ أن مات.

إسلام الابن:

** خرج عمار بن ياسر مع محمد بن عبد الله ﷺ في تجارة خديجة بنت خويلد رَضِوَاللَّهُعَنهَا، وقد عرف عن كثب أمانة محمد بن عبد الله ﷺ ومكارم أخلاقه، فلما سمع عمار بن ياسر أن محمدًا بن عبد الله ﷺ يدعي أنه رسول من قبل الله، وأنه جاء برسالة الإسلام فإذا بقلبه

---

(1) سمية بنت خيَّاط.

ينفتح لنداء الإيمان.

** بحث عمار بن ياسر عن محمد بن عبد الله ﷺ أين يجده، فأخذ يسأل في هدوء حتىٰ علم أنه في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فذهب إلىٰ هناك مسرعًا.

** دخل عمار بن ياسر علىٰ النبي ﷺ بدار الأرقم فأمره النبي ﷺ بالجلوس فجلس، وعرض عليه الإسلام وتلا عليه القرآن، فما أن سمع عمار ذلك حتىٰ كاد يطير من شدة الفرح. فما كان منه إلا أن بسط يده للحبيب ﷺ ، وقد اقتنع بما جاء به الإسلام من نور يحيي القلوب الميتة فاعتنقه، وأعلن إسلامه بشهادته بوحدانية الله عز وجل ونبوة محمد ﷺ.

** عاد عمار إلىٰ أبويه ـ ياسر وسمية ـ فرحًا مسرورًا، أقدامه تسابق الريح، وكأنه يسابق الزمن، ويتمنىٰ من أعماق قلبه أن يسارع أبويه إلىٰ اعتناق الإسلام حتىٰ لا يضيعان من عمرهما أكثر بين ثنايا الشرك المظلم. لتكون خطواتهما في الدنيا طريق لهم إلىٰ جنة الخلد والنعيم المقيم.

إسلامها:

**دخل عمار بن ياسر علىٰ أمه وأبيه فنظرا إليه في دهش، وكأنه قد عاد إليهما رجلًا آخر، فسألاه: أين كنت؟.

فقال في ثقة: كنت عند محمد، وقد عرض عليّ الإسلام، فأسلمت.

ودار حوار طويل بينهم، وعمار يدعو أبويه إلىٰ الإسلام ويعرض عليهما ويقرأ عليهما القرآن، وإذا بتلك القلوب النقية الطاهرة تنفتح

وتبتهج بسماع كلام الله -عز وجل- من أول لحظة وإذا بياسر وسمية ﭫ يشعران بالنور يضيئ أرجاء الكون من حولهما فيقول كل واحد منهما في لحظة واحدة كلمة الحق وينطق بأعظم وأجمل وأجل كلمات يمكن للسان العبد المؤمن أن يقولها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ ، فتهلل وجه عمار الطيب المطيب بفرح واستبشار ورأىٰ بعين بصيرته الأنوار تغمر الدار.

سرية الدعوة

** كان الرسول ﷺ يدعو للإسلام سرًّا من وثق فيه، حتىٰ بذر بذرة الإيمان في كل بيت من بيوت أشرف قريش العشرة بعون من ربه، وكان يتسلل إلىٰ شعاب مكة ليلتقي بالمسلمين ليصلوا لله تعالىٰ بعيدًا عن عيون الذين لم يشرح الله صدورهم بعد للإسلام.

** كان المسلمون الأوائل يخرجون فرادىٰ ومثنىٰ وثلاثًا سرًّا، ليذهبوا إلىٰ شعاب مكة ليلتقوا برسول الله ﷺ بعيدًا عن أهليهم، فخرج عمار بن ياسر وأبوه متسللين حتىٰ لا يفجأهما أحد من حلفائهما من بني مخزوم.

**أحس بعض المكيين بالمتسللين، فخرجوا في أثرهم يرصدونهم، حتىٰ إذا ما اجتمع المسلمون برسول الله ﷺ عادوا مهرولين إلىٰ دور بني مخزوم وأفضوا إلىٰ أبي جهل بما رأوا.

** جمع أبو جهل بعض رجاله، ثم انطلق إلىٰ حيث محمد ﷺ وصحبه واكتشف الأمر.

** استمرت الدعوة ثلاث سنين سرًّا، من دون أن يكون هناك مواجهة بين المسلمين وكفار قريش، وانتشر الإسلام بين الضعفاء

والعبيد الذين يتطلعون إلىٰ الحرية، والأحرار الذين لا يخشون أن يقوض الدين الجديد نفوذهم أو يذيب كنوزهم من ذهب وفضة.

** تم الانتقال إلىٰ مرحلة الجهر بالدعوة بعد أن أصبحت القاعدة الصلبة مستعصية علىٰ الإبادة، ولها من القوة والصلابة والجذور في الأعماق ما يجعلاها أقوىٰ من الإفناء، وهنا استشار زعماء قريش فيما بينهم، فقرروا إعلان الحرب علىٰ المسملين الذين يظهرون إسلامهم أو يكتشفون أنهم أسلموا بالقيام بتعذيب المسلمين وفتنتهم عن دينهم، فأخذ كل رئيس يعذب من دان من قبيلته بالإسلام، وانقض كل سيد علىٰ من اختار من عبيده طريق الإيمان.

قريش وآل ياسر

** آل ياسر من الأولين الذين دخلوا في الدين الإسلامي، وأما سمية فكانت سابع سبعة أظهروا إسلامهم بمكة، بعد الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق وبلال وصهيب وخباب وعمار ابنها. فالرسول ﷺ قد منعه عمه، أما أبو بكر الصديق فقد منعه قومه، أما الباقون فقد ذاقوا أصناف العذاب وألبسوا أدراع الحديد وصهروا تحت لهيب الشمس الحارقة.

** كان آل ياسر يعذبون جماعة الأب والأخ والأم والابن عذابًا شديدًا لا يطيقه أحد بالأبطح في رمضاء مكة؛ وذلك ليفتنوا عن دينهم ويرجعوا للكفر، فقام آل بني المغيرة بتعذيب آل ياسر، فكان أبو حذيفة بن المغيرة يسقيهم الهول والعذاب، وواصلت الأسرة الياسرية رحلة الصبر والثبات.

✍..انتبه :

لا يستطيع الإنسان إلا أن يقف وقفة إعجاب أمام هذه الأسرة

الياسرية العظيمة، هذه الأسرة الكريمة التي يُسّرت لليُسرىٰ، فمزّقت السِياط أجسامها، إلا أن إيمانها الوثيق بالله بات كالجبل الراسي لا تؤثر فيه الأمواج ولا الرياح العاتية، فأثارت مشركي مكة وأخرجت حلماءها عن طَورهم، فبُهتوا من صبر هذه الأسرة التي لم يرُدها عن عقيدتها الحقّة تعب ولا نَصَب ولا رمضاء ولا عطش. كل هذا ليردّوا هذه الأسرة عن دينها، ولكن الأسرة الياسرية كانت تزداد صلابة وإيمانًا وتسليمًا خصوصًا بعدما اطمأنت إلىٰ دعاء نبي الله ﷺ لهذه الأسرة كلها بالمغفرة.

الرسول ﷺ وآل ياسر:

** كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار ابن ياسر وبابيه وأمه وعمه إذا حميت الظهيرة، يعذّبونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم الرسول ﷺ ولم يكن في وسعه أن يقدم لهم شيئًا، فهم ليسوا بأرقاء حتىٰ يشتريهم ويعتقهم، وليست لديه القوة ليستخلصهم من الأذىٰ والعذاب، فكل ما يستطيعه ﷺ أن يزف لهم البشرىٰ بالمغفرة والجنة، ويحثهم علىٰ الصبر لتصبح هذه الأسرة المباركة قدوة للأجيال المتلاحقة، ويشهد الموكب المستمر علىٰ مدار التاريخ هذه الظاهرة، فكان يدعو لهم ويقول: صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة. فنزلت كلماته ﷺ علىٰ قلوب المعذبين بردًا وسلامًا.

... قال الشاعر:

صبرًا فإن الصبر للأحرار زادُ ... ولو زاد البلاء بهم لزادوا
أيجزع من يرىٰ في الصبر بابًا ... إلىٰ الفردوس يدخل من أرادوا

** استمر التعذيب لآل ياسر أيامًا، وكان الرسول ﷺ يمر عليهم ،

فكان ذات مرة معه عثمان بن عفان بالبطحاء، فأتيا علىٰ عمّار وأمه وأبيه وهم يُعذّبون، فقال ياسر للنبي ﷺ : الدهر هكذا.

فقال له النبي ﷺ : اصبر.

ثم قال: اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت.

** ظل الرسول ﷺ يدعو لآل ياسر، فعندما جاءه عمار يشكو ما تلاقيه أمه، وما يلاقي هو ووالده من شدّة عذاب المشركين لهم، فقال رسول الله ﷺ : صبرًا أبا اليقظان- كنية عمّار- اللهم لا تُعذّب أحدًا من آل ياسر بالنار.

سمية وأبو جهل

** مات ياسر بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تحت التعذيب، فواصلت سمية بعده رحلة الصبر والثبات، ووقفت تتحدىٰ وتجابه بني المغيرة بن عبد الله بن مخزوم.

** أعطي أبو حذيفة (عم أبو جهل) سمية بنت خيّاط لأبي جهل ليعذبها، وظلت سمية تتحمل العذاب أيامًا، وتصبر علىٰ أذىٰ أبي جهل صبر الأبطال، فلم تهن عزيمتها أو يضعف إيمانها، ولقد تفنن الخبيث في إيذائها وإيذاء رسول الله ﷺ بالكلام والشتيمة، ثم قال لها: كيف تتركين آلهة آبائك وتتبعين إله محمد؟

فقالت: أتحاجوني في الله وقد هداني؟

فقال أبو جهل: أرني إلهك هذا؟

قالت سمية: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

قال أبو جهل: لقد سحرك محمد، واللات.

قالت: بل هداني إلىٰ النور.

فقال لها أبو جهل: إنْ آمنتِ بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله. فأغلظت له القول.

فهانت روحها، ولم يهن دينها، فما ضعفت وما وهنت وما استكانت، وكانت من الصابرات، أجبروها علىٰ الكفر فأبت، وأجبروها علىٰ سب الرسول ﷺ فرفضت، فساموها أشد العذاب، وهي العجوز الكبيرة الضعيفة فما صدها هذا عن دين الله.

** وقفت سمية بنت خيّاط صامدة أمام أبي جهل الذي غدا كالمسعور من مجابهة سمية له بسخرية، فلقد حطمت رضي الله عنها كبرياءه وصلفه بصبرها وثباتها، ودب اليأس فى قلبه، وأيقن أنه لا طائل مع هؤلاء الصامدين الثابتين.

** وفي محاولة يائسة أخيرة أقبل أبو جهل علىٰ سمية بنت خيّاط وقد تملكه الغيظ، وبلغ منه الحقد مداه، فأمرها أن تكفر بمحمد ودينه، فامتنعت، فلم يكن من هذا الفاجر أبي جهل إلا أن أخذ بحربة فطعنها بها في موطن عفتها، ولم يرحم ضعفها كإنسان، ولم يرحم ضعفها كامرأة، كما لم يرحم ضعفها ولا عجزها كامرأة مسنة لا تقوىٰ علىٰ العذاب.

✍..انتبه

سمية بنت الخياط هي من أهم المجاهدات المسلمات اللواتي احتملن الأذىٰ والعذاب، الذي كان يلقاه المسلمون علىٰ أيدي المشركين في ذلك الوقت. وهي ممن بذلوا الغالي والنفيس في ذات الله تعالىٰ. كان إيمانها القوي بالله تعالىٰ هو سبب ثباتها علىٰ الإسلام

ورفضها دينًا غيره، فقد وقر الإيمان في قلبها وذاقت لذته وأيقنت أنه فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، فوكلت أمرها إلىٰ الله تعالىٰ محتسبة وصابرة أن يجزيها الله تعالىٰ خيرًا علىٰ صبرها ويعاقب المشركين، ونستشف من قصة سمية بنت خيّاط أن الله سبحانه وتعالىٰ يمهل ولا يهمل، وأنه مهما طال الأمد، فإن كل إنسان سوف يأخذ جزاءه عاجلًا أم آجلًا.

عمار وقريش:

** شددت قريش العذاب علىٰ عمار بن ياسر بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر علىٰ صدره أخرىٰ، وبغطه في الماء حتىٰ كان يفقد وعيه. وقالوا له: لا نتركك حتىٰ تسب محمدًا، أو تقول في اللات والعزىٰ خيرًا، فوافقهم علىٰ ذلك مكرهًا،وقد أنزلت آية في شأن عمار وهي قوله عز وجل: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:106] .

** عندما أتىٰ رسول الله ﷺ قال: ما وراءك؟

قال وهو يبكي: شر يا رسول الله! ما تُركت حتىٰ نلت منك وذكرت آلهتهم بخير!.

قال: كيف تجد قلبك؟

قال: مطمئنٌ بالإيمان.

قال: فإن عادوا لك فعد لهم.

.. فإن عادوا لك فعد لهم:

عمار بن ياسر رضي الله عنه لم يشرك ولم يكفر بالله ولم يبرح الإيمان قلبه، بل قال ما قال تحت وطأة التعذيب الشديد الذي لم يكن له به قدرة

علىٰ التحمل والصبر، فجاءت الآية من الله عز وجل تؤكد صدق إيمانه، وجاء الترخيص له ولغيره من رسول الله ﷺ.

أول شهيدة في الإسلام :

** نالت سمية بنت خيَّاط الشهادة وهي امرأة عجوز، فقيرة، متمسكة بالدين الإسلامي، بعد أن طعنها أبو جهل بحربته، وصعدت روحها إلىٰ بارئها راضية مرضية، وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فكانت بذلك أول شهيدة في الإسلام.

هـذي سـمية مُزِّقـت ... وبحربـة البـاغي الأذم
هزئـت بفرعـون الـذي ... قـد حـار واستعصىٰ الكلـم

** إنها من أهل الجنة، وقد كان دخولها الجنة علىٰ يد إمام الكفر أبي جهل الذي طعنها في قبلها بحربة بيده فقتلها، فوصلت إلىٰ الجنة. وكان ذلك في السنة السابعة قبل الهجرة.

.. صبرا آل ياسر موعد كم الجنة:

إن سيرة سمية بنت خيَّاط رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رسالة لبنات جنسها علىٰ مر الأيام والسنين، للشد علىٰ دينهن بكل ما يمكن، فلا يوجد أغلىٰ من الدين. فالدين الجديد الذي يرفع محمد ﷺ لواءه ليس حركة إصلاح عابرة وعارضة، إنما نهج حياة للبشرية المؤمنة، ولابد للبشرية المؤمنة هذه أن ترث مع الدين تاريخه بكل بطولاته وتضحياته ومخاطراته. إن هذه التضحيات النبيلة الهائلة هي«الخرسانة» التي تهب الدِّين والعقيدة ثباتًا لايزول، وخلودًا لايبلىٰ. إنها «العبير» يملأ أفئدة المؤمنين ولاءً وغِبطة وحُبورًا. وإنها «المنار» الذي يهدي الأجيال الوافدة إلىٰ حقيقة الدين وصدقه وعظمته.

وهكذا لم يكن هناك بُد من أن يكون للإسلام تضحياته وضحاياه، ولقد أضاء القرآن الكريم هذا المعنىٰ للمسلمين في أكثر من آية، فهو يقول: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت]. وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران] .

أجل.. هكذا علّم القرآن حملته وأبناءه أن التضحية جوهر الإيمان، وأن مقاومة التحديات الغاشمة الظالمة بالثبات وبالصبر وبالإصرار إنما تشكل أبهىٰ فضائل الإيمان وأروعها، ومن ثم فإن دين الله هذا وهو يضع قواعده، ويرسي دعائمه، ويعطي مُثُله، لابد له أن يدعم وجوده بالتضحية، ويزكي نفسه بالفداء، مُختارًا لهذه المهمة الجلية نفرًا من أبنائه وأوليائه وأبراره، يكونون قُدوة سامقة، ومُثلًا عُليا للمؤمنين القادمين.

لذا فسيرة سمية بنت خيَّاط أم عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعد ملحمة من ملاحم الصمود أمام الطغيان، وفي صراع الحق والباطل، حيث ضربت هذه البطلة أروع الأمثلة في الصبر، وتحمل فظائع التعذيب علىٰ أيدي مشركي قريش، دون أن تجامل أصحاب السلطان أو ترجع عن إيمانها بمحمد ﷺ ، ودعوته التي كانت في مهدها أو تستبطئ نصر الله، أو تتململ من حالها وتعبر عن معاناتها، مثلما فعل زوجها ياسر أبو عمار، الذي عبر في جملته الحائرة: «آلدهر هكذا؟» وقد زاد من حدة آلام سمية أن الاسلام لم يؤمن به إلا الضعاف غالبًا، وقليل من ذوي المكانة في مكة ممن قد تضمن لهم مكانتهم قدرًا من الحماية، فأما

المستضعفون- ومنهم سمية- فقد كانوا عرضًا منتهبًا وجسدًا مستباحًا.

وهذا ما جعل ملحمة سمية بنت خيَّاط تكاد تصل إلىٰ مستوىٰ الأسطورة التي تهز المشاعر، وتبهر العقول مثلها مثل ملاحم شهداء التاريخ وأبطاله علىٰ مر العصور.

لقد كانت سمية، وكان ياسر، وكان عمار من هذه الثُّلة المباركة العظيمة التي اختارتها مقادير الإسلام لتصوغ من تضحياتها وثباتها وإصرارها وثيقة عظمته وخلوده.

✍ .. **لطيفة:**

إن كان صبر الرجال المسلمين علىٰ العذاب الشديد عجيبًا، فأعجب منه أن تصبر عليه امرأة، وصبرها علىٰ التمسك بدينها يهون إلىٰ جانبه الصبر علىٰ الألم، مهما زاد واشتد.

ولكن لماذا صبرت سمية بنت خيَّاط؟!

صبرت لأنه كان إيمانها القوي بالله تعالىٰ هو سبب ثباتها علىٰ الإسلام ورفضها دينًا غيره، فقد وقر الإيمان في قلبها وذاقت لذته وأيقنت أنه فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، فوكلت أمرها إلىٰ الله تعالىٰ محتسبة وصابرة أن يجزيها الله تعالىٰ خيرًا علىٰ صبرها ويعاقب المشركين.

قتلَ ا ُ ـ سبحانه ـ قاتل سمية

❊❊ لم تنته قصة سمية بنت خيَّاط بموتها، فبقي الجزء الآخر المتعلق بقاتلها أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، ويكنىٰ بأبي الحكم. كان من أشد الناس

عداوة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم أذىٰ لهم. وقد لقبه المسلمون بأبي جهل لكثرة تعذيبه المسلمين وقتله سمية، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ يمهل ولا يهمل.

** قتل أبو جهل في معركة بدر الكبرىٰ، حيث قاتل المسلمون المشركين بأسلوب الصفوف، بينما قاتل المشركون المسلمين بأسلوب الكر والفر. طعن أبا جهل علىٰ يدي ابني عفراء، عوف بن الحارث الخزرجي الأنصاري، ومعوذ بن الحارث الخزرجي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكنه لم يمت علىٰ أثر طعناتهما بسبب ضخامة جسده، ولأن ابني عفراء كانا صغيرين بالسن، لكنه لفظ نفسه الأخيرة علىٰ يد عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أجهز عليه. ولقد استشهد ابنا عفراء في هذه المعركة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

** قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم! أرني أبا جهل! فقلت يا ابن أخي! ما تصنع به؟! قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. قال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله، فأشرت لهما إليه، (فشدا عليه مثل الصقرين، فضرباه حتىٰ قتلاه).

**بعد مقتل أبي جهل، قال النبي ﷺ لعمار بن ياسر: قتل الله قاتل أمك.

✍ .. إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن:

سبحان الله، لقد كان هذا المتكبر الآثم متسلطًا علىٰ الضعفاء من المسلمين من أمثال سمية بنت خيَّاط المرأة التي لا حول و لا قوة

لها، فكان جزاؤه أن سلط الله عليه ولدين صغيرين من أضعف الناس ليكونا قاتلاه.

✍ .. **لفتة:**

البشر أفراد وجماعات يتشابهون في الأفعال والصفات عبر التاريخ. فالتاريخ جملة واحدة، ترتكز علىٰ الصراع بين الحق والباطل، لا يتغير جوهرها من جيل إلىٰ جيل، ولا من زمن إلىٰ زمن، وحدها الوجوه والأشكال هي المتغيرة. فمرة يزول الباطل ويعلو الحق. ومرة تدب الحياة في أوصال الباطل. وهكذا تعاد الكرة حتىٰ تنتهي الحياة!

يافتاة :

فارفعي رأسك يا بنت الاسلام .. يا فتاة التوحيد .. يا فتاة لا إله إلا اللــه

افخري بذلك .. واعتزي لذلك .. واجعلي قدوتكِ سمية وخديجة وعائشة

وإياكي.. وإياكي.. لمن يريدون تحريرك من حيائك.. حجابك.. دينك.

تمسكي بدينك، وكوني رمزًا شامخًا يقهر كل دعاة التحرير دعاة الفسق والفجور

ارفعي مجد الإسلام.. سطري التاريخ ببعض بطولاتك وهمتك العالية.

علمي العالم أجمع.. أن هناك حفيدات لعائشة وصفية وخديجة.

لا يبالين ولا يخافن في الله لومة لائم

*****

رحم الله السابقة إلىٰ الإسلام

وأول شهيدة في الإسلام

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها

وجمعنا بها في مستقر رحمته.

6
الرُّبيع بنت معوذ

بايعت الرسول ﷺ بيعة الرضوان قال الرسول ﷺ : «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**» .

نسبها وأسرتها:

** هي الربيع بنت معوذ بن الحارث بن عفراء بن النجار رضي الله عنها ، وهم بطن من الخزرج .

** أبوها.. معوذ بن الحارث بن رفاعة بن عفراء، رضي الله عنه شهد العقبة مع السبعين، وشهد غزوة بدر مع الرسول ﷺ ، واستشهد فيها، وهو ممن ضرب أبو جهل مع أخيه عوف بن الحارث حتىٰ أثخناه وعطف هو عليهما فقتلهما، ثم وقع صريعًا.

** أمها.. أم يزيد بنت قيس بن حرام بن عدي بن النجار.

جدتها لأبيها: عفراء بنت عبيد الأنصارية رضي الله عنها ، وهي أمّ سبعة رجال كلهم شهدوا بدرًا مع النبي ﷺ وهم معاذٌ، ومعوذٌ، وعوفٌ.. أبناء زوجها الحارث بن رفاعة، و إياسٌ، وعاقلٌ، وخالدٌ،وعامرٌ أبناء زوجها البكير بن ياليل، وثلاثة منهم استشهدوا في تلك الغزوة وهم معوذ وعوف وعاقل، كما استشهد خالد يوم الرجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة. فقد دفعتهم جميعًا إلىٰ ساحات القتال واحتسبتهم عند الله عز وجل.

** عمها.. عوف بن الحارث بن رفاعة بن عفراء رضي الله عنه أنه قال

لرسول الله ﷺ في أول بدء المعركة ببدر: ما يضحك الرب من عبده؟، فرد رسول الله ﷺ: غمسه يده في العدو حاسرًا، فنزع عوف بن الحارث درعًا عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم قتالًا شديدًا.

** أختها.. عميرة بنت معوذ رضي الله عنها، أسلمت عميرة وبايعت رسول الله ﷺ .

** أختها.. فريعة بنت معوذ بن عفراء الأنصارية رضي الله عنها وكانت مجابة الدعوة.

** زوجها.. إياس بن البكير بن عبد ياليل بن كنانة، من قبيلة كنانة، رضي الله عنه حليف بني عدي بن كعب، شهد غزوة بدر مع إخوته عاقل بن البكير وخالد بن البكير وعامر ابن البكير، وشهد المشاهد كلها مع الرسول، وقد آخىٰ رسول الله بينه وبين الحارث ابن خزمة، شهد إياس ابن البكير فتح مصر.

** ابنها.. محمد بن إياس بن البكير، وهو من التابعين، وهو يعد من الشعراء.

** ابنتها.. مريم بنت إياس بن البكير، وهي من التابعيات، ولها روايات في الأحاديث.

إسلامها:

** أسلمت الرُّبَيِّع بنت معوذ في المدينة المنورة قبل هجرة النبي ﷺ إليها، وكانت صغيرة السن، فقد حضر أبوها معوذ بن الحارث بن رفاعة بن عفراء، رضي الله عنه بيعة العقبة الثانية.

** بايعت الربيع رسول الله ﷺ كغيرها من نساء الأنصار ـ رضي الله عنهن ـ عندما هاجر إلىٰ المدينة.

زواجها:

** خطبها إياس بن البكير الليثي رضي الله عنه وهو ابن عمها، قبل غزوة بدر بقليل، ثم خرج هو وإخوته عاقل وخالد وعامر، إلىٰ غزوة بدر لقتال المشركين.

** في غزوة بدر كان لأبيها معوذ بن عفراء، وعمها معاذ بن عفراء، وعمها عوف ابن عفراء رضي الله عنهم بلاءً حسنًا، فقد قتل معاذ ومعوذ فرعون هذه الأمة أبا جهل، واستشهد معوذ ببدر كما استشهد عمها عوف ببدر.

** بعد غزوة بدر تزوجت الربيع بنت معوذ من إياس فجاء النبي ﷺ فدخل عليها يوم زوجها، إكرامًا لها وتشريفًا لها، ووفاءً لصحبة أبيها وعمها.

**جلس ﷺ علىٰ فراشها، وجعلت جاريتان عندها يضربن بالدف، ويندبان (من الندبة بضم النون وهي ذكر أوصاف الميت بالثناء عليه وتعديد محاسنه بالكرم والشجاعة ونحوها) من قتل من آباء الربيع يوم بدر (وهم معوذ وعوف وعاقل الذين شهدوا بدرًا)، إلىٰ أن قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال ﷺ لها: دعي هذه (أي اتركي ما يتعلق بمدحي الذي فيه الإطراء المنهي عنه)، لا يعلم ما في غد إلا الله، وقولي بالذي كنت تقولين (1) .

.. دعي هذه لا يعلم ما في غد إلا ا :

النبي ﷺ وهو المعلم والمربي أنكر علىٰ الجاريتين ما ذكرتاه من

(1) رواه البخاري .

أنه ﷺ يعلم الغيب؛ لأن علم الغيب مما اختص الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ به نفسه، وأما ما كان يخبر به النبي ﷺ من الغيب فإنما بعلم الله ـ عز وجل ـ له، قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ [الجن].

✍.. اعلم:

في القصة: إشارة إلىٰ جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلىٰ الغلو(1).

مشاركتها في الجهاد:

❁❁ عندما فرض الجهاد علىٰ المسلمين، سارعت الربيع بنت معوذ إلىٰ نصرة الإسلام، وساهمت مساهمة فعالة في ساحة الجهاد ضمن الحدود التي شرعها الإسلام للمرأة، فقد كان النساء يخرجن مع النبي ﷺ لسقي المرضىٰ ومداوة الجرحىٰ.

❁❁ تقول الربيع: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ: «**نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلىٰ والجرحىٰ إلىٰ المدينة**» (2).

❁❁ شهدت الرُّبيع بنت معوذ غزوة أحد مع أم عمارة وعائشة ـ رضي الله عنهن ـ.

✍.. **انتبه:**

الجهاد ليس واجبًا علي النساء ولكن لهن أن يتطوعن ولو توافر الرجال، ولقد شاركت النساء في الجهاد بكل صورة خدمة المجاهدين وقتال المشركين. فعن أم سنان الأسلمية رضي الله عنها قالت: لما أراد رسول

(1) فتح الباري.
(2) رواه البخاري.

الله الخروج جئته فقلت: يا رسول الله، أخرج معك في وجهك هذا، أخرز السقاء (أخيط السقاء) وأداوي المرضىٰ والجريح إن كانت جراح - ولا يكون -، وأنظر الرحل (أحرس الخيام والأمتعة). فقال رسول الله ﷺ اخرجي علىٰ بركة الله فإن لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا. قلت: معك. قال ﷺ : فكوني مع أم سلمة زوجتي. قالت: فكنت معها[1].

عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة زوجها، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله ﷺ: مَا هَذَا الْخِنْجَر؟ قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك[2].

بيعة الرضوان :

** كان رسول الله ﷺ قد رأىٰ في المنام، وهو بالمدينة، أنه داخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وآخذ مفتاح الكعبة، وطائف بالبيت العتيق. فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا بهذه الرؤية فرحًا شديدًا، وتشوَّقت نفوسهم لتلك الساعة، وحسبوا أنهم داخلوا مكة خلال وقت ليس بالبعيد.

** رسول الله ﷺ ، وعلىٰ إثر تلك الرؤيا المبشرة، أخبر أصحابه أنه معتمر، وطلب منهم أن يأخذوا أهبة السفر، فتجهزوا لما أمرهم به.

** خرج ﷺ قاصدًا مكة غرة ذي القعدة من السنة السادسة

(1) الطبقات الكبري لابن سعد.

(2) رواه مسلم.

للهجرة، وكان عدد الذين خرجوا معه يريدون مكة قد قاربوا ألفًا وأربعمائة رجلًا، ولم يخرج معه أحد بسلاح المعركة، بل خرج الجميع بسلاح المسافر فحسب.

** حاول القرشيون في مكة قدر استطاعتهم أن يمنعوا رسول الله وأصحابه من دخول مكة لأداء العمرة، وقد دار بين الجانبين مفاوضات كثيرة، وانتهت تلك المفاوضات بإرسال رسول الله عثمان بن عفان سفيرًا للمسلمين إلىٰ قريش للتفاوض معهم في أمر دخول المسلمين إلىٰ مكة للعمرة.

** في أثناء انتظار عثمان بن عفان قرار قريش، أشيع بين المسلمين أنه ما تأخر إلا لأنه قتل في مكة، وهذا يُعَدّ أمرًا خطيرًا ومخالفةً جسيمة للأعراف والقوانين، وفيه إهانة كبيرة جدًّا للدولة التي قُتل رسولها.

** وفور وصول هذه الإشاعة إلىٰ أسماع النبي، تعامل معها بكل جدية وصرامة، فهنا أشيع أن عثمان بن عفان رسولَ رسولِ الله من المسلمين إلىٰ قريش قد قُتل، فماذا يكون تصرُّف الدولة العزيزة التي تدافع عن كرامتها، وترفع رأسها بين الدول تجاه هذا الفعل المهين؟

** لقد جمع رسول الله المسلمين جميعًا، ثم عقد معهم بيعة هي من أعظم البَيْعات في تاريخ الأرض، وقد عُرفت في التاريخ بـ (بيعة الشجرة أو بيعة الرضوان)، وقد سميت بيعة الشجرة؛ لأنها وقعت تحت شجرة عند الحديبية. وسميت بيعة الرضوان؛ لأن الله صرح في كتابه الكريم أنه رضي عن هؤلاء الذين قاموا بها، فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

** الصحابة والصحابيات جميعهم قد بايعوا علىٰ ألاَّ يفروا، كما بايع بعض الصحابة علىٰ الموت، بل بايع بعضهم علىٰ الموت ثلاث مرات كسلمة بن الأكوع؛ إذ بايع مرة ثم الثانية فالثالثة.

** فكانت البيعة جِدُّ خطيرة حقًّا؛ إذ بايع الجميع علىٰ عدم الفرار، أي أنهم سيناجزون القوم، وسيقاتلون قريشًا، ولن يفروا أبدًا في هذا القتال، وهذا رغم كونهم لا يحملون إلا سلاح المسافر فقط. وقد بايع جميع الصحابة علىٰ هذا إلا واحدًا فقط هو الجَدُّ بن قيس، وهو كان من المنافقين.

** فعندما علمت قريش بتلك البيعة، ومدىٰ صلابة المسلمين في موقفهم، وقوتهم، وصبرهم، وثباتهم مع رسول الله ﷺ، علمت أن ذلك هو الحق، فأرسلت إلىٰ المسلمين فريقًا للتفاوض معهم، وإبرام الصلح.

** كانت الربيع بنت معوذ ممن بايع الرسول ﷺ بيعة الرضوان.

** لبيعة الرضوان فضل كبير حيث قال رسول الله ﷺ فيها: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**» (1)وأن الله ـ عز وجل ـ رضي كل الرضا عن المسلمين الذين بايعوا رسول الله ﷺ عليه وسلم تحت الشجرة.

✍..**لطيفة:**

عن أم مبشر رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها: «**لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد من الذين**

---

(1) رواه أبو داود.

بايعوا تحتها».

قالت: بلىٰ يا رسول الله فانتهرها ﷺ ، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:71] .

فقال النبي ﷺ قد قال الله عز وجل:﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم] (1) .

فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب علىٰ وجه الاسترشاد، وهو مقصود حفصة، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور علىٰ الصراط، وهو جسر منصوب علىٰ جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون.

الربيع مع الرسول:

1/ إهداء ما يحبه من طعام بقناع من رطب وآخر من عنب:

** بعث معوذ بن عفراء ابنته الربيع بصاع من رطب عليه أجر من قثاء زغب (القِثّاءة : نبات عشبيّ حوليّ زراعيّ من فصيلة القرعيّات، وصغار القثاء عليها الوبر الناعم الذىٰ هو الزغب) إلىٰ رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ يحب القثاء.

** عندما دخلت الربيع بهديتها علىٰ رسول الله ﷺ ، كانت حلية (أي ذهب) قد قدمت من البحرين، فملأ يده منها فأعطاها، وقال لها: تحلّي بهذا (2).

✍.. قف وانتبه:

لقد قبل النبي ﷺ من الربيع هديتها، وعرف قدرها، ولكنه أعطاها

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه أحمد.

ما هو أفضل؛ لأنه ﷺ أجود ولد آدم، يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر.

✍.. فائدة:

الكرم صفة جميله في الناس، وما يبذله الناس إن هو إلا رصيد إيماني لهم يجدونه يوم يحتاجون إلىٰ رصيد، والأنصار ممن اتصفوا بالجود والكرم، وكانوا يتحفون النبي ﷺ بالهدايا، ويتحرون ما يحبه ﷺ ليدخلوا السرور إلىٰ قلبه الشريف.

2/ اسكبي لي وضوءًا:

** كان النبي ﷺ كثيرًا ما يزور الربيع في بيتها ويتوضأ ويصلي ويأكل عندها، وكانت الربيع تشعر بالبركة في زيارة النبي ﷺ لها، وكانت تتعلم منه ﷺ أمور الدين وتتفقه.

** كان رسول الله ﷺ عندها ذات مرة، فقال لها: اسكبي لي وضوءًا. فسكبت له الماء وتوضأ رسول الله ﷺ أمامها.

✍.. اسكبي لي وضوءًا

أتىٰ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ الربيع فسألها عن وضوء رسول الله ﷺ فقالت:

غسل كفيه ثلاثًا، ووضأ وجهه ثلاثًا، ومضمض، واستنشق مرة، ووضأ يديه ثلاثًا ثلاثًا، مسح برأسه مرتين يبدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه، وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما، ووضأ رجليه ثلاثًا ثلاثًا [1] .

✍.. فائدة:

رسمت الربيع صورة وضيئة مباركة لطريقة من طرق وضوء رسول الله ﷺ كأنك تراه، فنعم الموصوف ونعم الوصف.

---

(1) سنن أبو داود.

الربيع مع التابعين:

أتىٰ أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر الربيع، فقال لها: صفي لي رسول الله ﷺ .

قالت: يا بني، لو رأيته لرأيت الشمس طالعة[1].

.. لو رأيته لرأيت الشمس طالعة:

الربيع رضي الله عنها أرادت أن تصف رسول الله ﷺ بأفضل لفظ وأجمل صفة، فهو كالشمس يضئ كل شيء، بل هو ذو فضائل لا يمكن لبشر أن يحصرها في كلمات، كما أن صفاته لا يمكن أن تحصر في جمله واحدة، فرسول الله ﷺ كان أحسن الناس وجهًا وأنورهم محيًّا، ولقد اجتمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله ﷺ أنه كان منير الوجه، مشرق المحيّا.

فيقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية النبي ﷺ

فقال: كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخَّمًا يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر[2] .

ويقول كعب بن مالك: كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر[3] .

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال :رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان (أي مضيئة مقمرة) وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلىٰ القمر،

---

(1) دلائل النبوة .

(2) رواه الترمذي.

(3) رواه البخاري.

فلهو أحسن في عيني من القمر) [1] .

الربيع مع زوجها:

** الحياة الزوجية لا تخلو من عواصف تهزها، ومتاعب وصعوبات تحيط بها، فتتعسر المعيشة أحيانًا بين الزوجين، فيكون الفراق بالإحسان، وهذا ما حدث مع الربيع وزوجها إياس بن البكير.

** في يوم جرىٰ بين الربيع وزوجها وهو ابن عمها خلاف ونزاع، فعلمت أن الحياة معه صعبة ولا يمكن الاستمرار فيها. وأنها لم تعد تستطيع متابعة الطريق معه، فقالت له: لك كل شيء لي، وفارقني أو أختلعُ منكَ بجميعِ ما أملك؟

قال: قد فعلتَ.

فدفعت له كل شيء حتىٰ فراشها، ماعدا درعها.

** ذهب زوجها إلىٰ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ فخاصمها. فجاءت الربيع إلىٰ عثمان فذكرت له ما حدث. فقال عثمان لها: له شرطه يا ربيع، الشرط أملك، خذ كل شيء لها حتىٰ عقاص رأسها (أي ضفائرها) إن شئت. فدفعت له الدرع حسب رغبة أمير المؤمنين.

✍.. اختلع منك بجميع ما أملك ؟

أعطَت الشريعة الإسلامية للرجل حقَّ الطلاق، وفي مُقابل ذلك فإنها جعَلت الخُلع حقًّا للمرأة، وهو الافتداء إذا ما كرهت المرأة زوجَها، وبذلك جعل الإسلام للمرأة مخرجًا إن أريد بها الضرر، وهي لا تقبل هذا الضرر، فيأتي الحق ويُشرِّع ويقول:" ما داما قد خافا ألا

(1) رواه الدارمي والترمذي والحاكم.

يُقيما حدود الله"، فللمرأة أن تفتدي نفسها بشيء من المال، شريطة ألا يزيد عن المَهر.

وتُعتبر حبيبة بنت سَهل الأنصاري زوجة ثابت بن قيس بن شماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أولَ حالة خُلْع في الإسلام، فقد قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، زوجي ثابت بن قيس ما أعيب عليه في خلُق ولا دِين، ولكن أكره الكفْر في الإسلام (أي: أكره عدم الوفاء بحقِّه لبغضي له). فقال رسول الله ﷺ : أتردِّين عليه حديقته؟. وهي المهر الذي أمهَرَها، فقالت: نعم. قال رسول الله ﷺ لثابت: اقبل الحديقة، وطلِّقها تطليقة" (1) .

وحكم الخُلع هو نفس حكم الطلاق، فهو مُباح ولكنه مَبغوض، وقد نهىٰ الشارع عنه إذا كان لغير سبب غير رغبة الزوجة في فراق هذا وتزوَّج ذاك، وهو ما يُعرف بالتذوق؛ ولذلك قال النبي ﷺ : «**أيُّما امرأة اختلعت من زوجها بغير نشوز، فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، المُختلعات هنَّ المنافقات**» (2) .

والحكمة من مشروعية الخُلع، أنه لما جعَل الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الطلاق في يدِ الرجل، يستطيع أن يلجأ إليه كعلاج أخير يتخلَّص به من زواج رأىٰ أنه لم يؤدِّ الغرضَ المقصود منه، فإنه في نفس الوقت أعطىٰ المرأة هذا الحق في أن تتخلَّص من زواجها إذا رأت أنه لم يؤدِّ الغرض المقصود منه، وذلك بالخُلع؛ لتكون الحياة الزوجية فيه قائمة علىٰ الحرية في بدئها، وعلىٰ الحرية في استمرارها كذلك؛ فإنه من غير المعقول، بل ولا من العدل أن تشعر امرأة بالنفور الحقيقي من زوجها

(1) رواه البخاري.

(2) رواه الحاكم.

لأي سبب من الأسباب الخلقية، ثم تُرغَم علىٰ المعيشة معه؛ لأن حياة زوجية بهذا الشكل لا خير فيها، سواء للزوجين أو للمُجتمع؛ لأن الزوجة أذا أحسَّت بأنَّ زوجها مفروض عليها إلىٰ الأبد مع كراهيتها له ونُفورها منه، فإنها قد تَقتله أو تَقتُل نفسها، أو تخرج عن دينها، أو تزلُّ إلىٰ طريق الغَواية والانحِراف.

✍.. الشرط أملك :

نعم المؤمنون عند شروطهم إلا شرطًا حرَّم حلالًا أو أحلَّ حرامًا، فلتحذر العاقلة حين تشترط أن تعلم أن المسلمين والمسلمات عند شروطهم فلا تأخذها العاطفة ولا يدفعها لذلك الغضب.

✍.. فائدة:

قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الزوجه المخلوعة: عدتها عدة المطلقة، إذ الخلع طلاق بعوض.

ابنة قاتل عبده:

** دخلت في نسوة من الأنصار علىٰ أسماء بنت مخربة أم أبي جهل في زمن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يبعث إليها بعطر من اليمن وكانت تبيعه إلىٰ الأعطية فكانت النساء تشتري منها.

** ذهبت الربيع وصويحباتها لشراء العطر من أسماء، فلما جعلت أسماء لها العطر في قواريري، ووزنت لها كما وزنت لصواحبتها، قالت لها أسماء: اكتبن لي عليكن حقي.

فقالت الربيع: نعم، أكتب علىٰ ربيع بنت معوذ .

فقالت أسماء: حلقي، وإنك لابنة قاتل سيده.

فقالت الربيع: بل ابنة قاتل عبده.

قالت أسماء: والله لا أبيعك شيئًا أبدًا.

فقالت الربيع: وأنا والله لا أشتري منك شيئًا أبدًا، فما وجدت لعطر نتنًا غير عطرك. ثم قامت الربيع منصرفة.

✍.. لطيفة:

تقول الربيع عن هذا الموقف وهذا العطر: فوالله ما بطيب ولا عرف، ووالله يا بني ما شممت عطرًا قط كان أطيب منه ولكني غضبت. وإنما قلت ذلك فِي عطرها لأغيظها.

✍.. انتبه:

هذا الموقف يدل علىٰ شجاعة الربيع ويدل علىٰ اعتصامها بحبل الله تعالىٰ وحبها للإسلام وأهله، ولا تخاف في الله لومة لائم، ولا تخشىٰ أي أحد يخالف شرع الله تعالىٰ.

علمها:

** الربيع بنت معوذ إحدىٰ النساء اللائي كتب الله لهن شرف الصحبة النبوية، وشرف الجهاد مع النبي ﷺ ، وكانت إحدىٰ راويات الحديث النبوي الشريف، إذ كانت حافظة واعية. فكانت مثالًا للمرأة المسلمة في علمها وراويتها للحديث، وعرف المسلمون قدرها، وأكبروا علمها.

** أحبت الرُبَيِّعُ بنت مُعَوّذ العلم، فكانت كثيرة التردد علىٰ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تأخذ عنها العلم، ولهذا حفظت وروت عن النبي ﷺ واحدًا وعشرين حديثًا. وروىٰ عنها عدد من أجلاء التابعين وعلمائهم من الرجال والنساء، حيث كان عدد من الصحابة والتابعين

يأتونها فيسألونها عما تعرفه من أحكام الشريعة:

** عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، فمسح رأسه من فضل ماء كان في يده»[1] .

** عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلىٰ قرىٰ الأنصار من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم. قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكىٰ أحدهم علىٰ الطعام أعطيناه ذاك حتىٰ يكون عند الإفطار[2].

وفاتها:

اختلف في وفاة الربيع، فقيل توفيت- رحمها الله- أيام معاوية سنة 45 هـ، وقيل توفيت في خلافة عبد الملك بن مروان سنة بضع وسبعين.

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخاري ومسلم.

7

أسماء بنت يزيد بن السكن

بايعت الرسول ﷺ بيعة الرضوان قال الرسول ﷺ : «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»

نسبها وأسرتها:

** هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن عبد الأشهل الأنصارية رضي الله عنها وتكنىٰ بأم عامر، أو أم سلمة، وقد اشتهرت بالفصاحة وقوّة البيان والحُجة، كما أوتيَت نصيبًا وافرًا من الشجاعة حتىٰ اعتُبرت من جملة المجاهدات، كما أنها من النساء الطاهرات، اللواتي ضربن مثالًا رائعًا في الإيمان والصبر والعلم.

** أبوها.. يزيد بن السكن بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي رضي الله عنه، استشهد في غزوة أحد.

** عمها.. زياد بن السكن رضي الله عنه الذي قال له الرسول ﷺ يوم أحد، وقد أثخنته الجراح: ادنوه مني. فوضع رأسه علىٰ قدم رسول الله ﷺ فمات شهيدًا، وخده علىٰ قدم النبي ﷺ .

** أمها.. أم سعد بنت خزيم بن مسعود الأشهلية.

** أخوها.. عامر بن يزيد السكن رضي الله عنه ، حضر غزوة أحد وهو الذي جعل جسده متراسًا للدفاع عن الرسول ﷺ ، فنال الشهادة بين يدي رسول الله ﷺ .

** ابن عمها.. سعد بن معاذ بن النعمان بن امرؤ القيس رضي الله عنه وهو

الذي قال لأهله: يا بني عبد الأشهل، إن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتىٰ تؤمنوا بالله ورسوله.

** زوجها.. أبو سعيد الأنصاري واسمه سعيد بن عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش حتىٰ عهد عبد الملك بن مروان خامس الخلفاء الأمويين حكم سنة 65 هـ، وهو راوىٰ حديث: أن رجلًا من أشجع سأل رسول الله ﷺ، فقال: إن لي امرأة ترضع وأنا أكره أن تحمل أفأعزل عنها؟، فقال: «**ما قدر في الرحم فسيكون**»(1) .

** ابنها.. عامر بن سعيد بن عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

** ابنتها.. سلمة بنت سعيد بن عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الأنصارية الأشهلية.

إسلامها:

** لما أسلم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سألته أسماء بنت يزيد عن الإسلام وما يدعو إليه، فتلا عليها سعد بن معاذ آيات من الذكر الحكيم، وأخبرها أن رسول الله محمد ﷺ يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ عبادة الأصنام، ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

** تأثرت أسماء بإسلام سعد بن معاذ وبمقولته وهو يدعوا أهله إلىٰ الإسلام، فأسلمت علىٰ يد مصعب الخير أو مصعب بن عمير، الذي انطلق من خير دور الأنصار- دار عبد الأشهل - قوم سيدنا سعد ابن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بيعة الإسلام:

** عندما هاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة، وبايعه الرجال بيعة الإسلام، أمر النبي ﷺ النساء أن يبايعن بيعة الإسلام.

(1) رواه الطبراني.

** أتت أم عامر أسماء رسول الله ﷺ وليلىٰ بنت الخطيم وحواء بنت يزيد، فدخلن علىٰ الرسول ﷺ بين المغرب والعشاء، وكنَّ متلفِّفاتٍ بمرُطِهنَّ فسلمن عليه، وانتسبنَ (أي عرَّفت كلُّ امرأة بنسبها).

** رحب بهن الرسول ﷺ ، ثم قال ﷺ : ما حاجتكن؟

فقلن: يا رسول الله، أتينا نبايعك علىٰ الإسلام، فإنا قد صدقنا بك وشهدنا أن الذي أتيت به حق.

فقال الرسول ﷺ : الحمد لله الذي هداكن للإسلام، قد بايعتكن.

** أخرجت حواء بنت يزيد يدها لتبايعه، حيث كان الرجال يضعن أيديهم بيد الرسول ﷺ عند مبايعته، فكف رسول الله ﷺ يده، وقال الرسول ﷺ : إني لا أصافح النساء، إنما قولي لألف امرأة كقولي لامرأة واحدة.

** كان علىٰ أسماء بنت يزيد سواران من ذهب وخواتم في أصابعها من ذهب، فبصر رسول الله ﷺ بصيصهما، فقال: أيتها المرأة أيسرك أن يحليك الله مكان هذا سوارين وخواتم من نار؟

قالت أسماء: لا يا رسول الله.

قال ﷺ : فاطرحيه إذًا.

** انتزعت أسماء الخواتم فوضعتهن بين يديها، وعالجت السوارين فلم ينزع أحدهما، وعسر الآخر عليها، فاستعانت بامرأة فلم تزالا تعالجاه حتىٰ نزعتاه، فوضعتاه أمامه، ولا تدري من أخذهما[1] .

---

(1) رواه ابن ماجة ومختصر تاريخ دمشق.

✍ .. قد بايعتكن

بايعت أسماء بنت يزيد بيعة الإسلام علىٰ ما كان رسول الله ﷺ يبايع النساء وكانت أول من بايع من نساء الأنصار، كما كانت بيعتها تفيض بالإخلاص، وتتسم بالصدق العملي الذي تمثلته منذ اللحظات الأولىٰ لبيعتها، بسرعة استجابتها لرسول الله ﷺ بتخليها عن زينتها؛ لتظهر مدىٰ صدقها في حب رسول الله ﷺ وطاعة أمره، فسعادتها لم تكن في الحلي والذهب، ولكن بالتقىٰ والإيمان الحقيقي[1] .

✍ .. إني لا أصافح النساء

مصافحة النساء لا تخلو من أحد أمرين:

1ـ أن يصافح الرجل محارمه فلا حرج فيه، لما روىٰ أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ كان يقبل فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وتقبله إذا دخل عليها. وإذا كان لمس المحارم علىٰ النحو المذكور جائزًا فإن المصافحة نوع من اللمس، فتكون جائزة في حق المحارم.

2ـ أن يصافح النساء من غير محارمه: فإن كانت المرأة عجوزًا فانية لا تشتهي ولا تشتهي، فهو جائز ما دامت الشهوة مأمونة من كلا الطرفين، ولأن الحرمة لخوف الفتنة، وإن كانت المرأة شابة فقد اتفق الأئمة الأربعة علىٰ تحريم مصافحتها، وقالت الحنابلة منهم: سواء كانت المصافحة من وراء حائل أو لا. فعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[2] ولا شك في أن المصافحة من المس. قال

(1) حلية الأولياء .

(2) رواه الطبراني والبيهقي.

النووي رحمه الله: كل من حرم النظر إليه حرم مسه، بل المس أشد، فإنه يحل النظر إلىٰ الأجنبية إذا أراد أن يتزوجها، ولا يجوز مسها. انتهىٰ.

إني لا أصافح النساء، هذه الوقاية، والوقاية خيرٌ من قنطار علاج، المصافحة ملامسة، والملامسة لها مضاعفات، لا تُحمَد عقباها، والمؤمن طاهر، وعفيف، والمؤمن يسدُّ أي طريق بيِّن للشيطان.

✍ .. انتبه:

ظلت أسماء بنت يزيد تردد نص البيعة الذي أملاه عليهن رسول الله ﷺ ، وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز قال الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة] .

ك وافيرة الصحابيات:

** اشتهرت أسماء بأنها خبيرة في تجميل النساء وتزيينهن؛ لهذا فلأسماء مكانة خاصة في نفوس كثير من الصحابيات، وبخاصة نفس أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فهي التي زينتها يوم زفافها إلىٰ رسول الله ﷺ وأدخلتها عليه ﷺ وأصبحت بعد ذلك تدعىٰ أسماء عائشة أو أسماء مقيّنة عائشة.

** تقول أسماء: إني قيّنت عائشة (أي زينتها) لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها (أي: للنظر إليها مجلوة مكشوفة).

** جاء ﷺ فجلس إلىٰ جوارها، وأتىٰ بقدح لبن فشرب منه، ثم

ناول النبي ﷺ عروسه عائشة القدح لتشرب، فخفضت رأسها واستحيت. فنهرتها أسماء وقالت لها: خذي من يد النبي ﷺ .

** أخذت العروس عائشة القدح من يد عريسها ﷺ على استحياء، فشربت منه شيئًا، ثم قال لها النبي ﷺ : أعطي تربك. (أي ناولي صواحبك).

فقالت أسماء: يا رسول الله، بل خذه فاشرب منه، ثم ناولنيه من يدك، فأخذه ﷺ فشرب منه، ثم ناوله لأسماء بنت يزيد.

** جلست أسماء بعد أخذ القدح من يد النبي ﷺ ، ثم وضعت القدح على ركبتها، ثم طفقت تديره وتبع شفتها لتصيب منه مشرب النبي ﷺ (وذلك حتى تتبرك بموضع شربه ﷺ) فشربت، ثم قالت لنسوة عندها: ناوليهن.

فقلن: لا نشتهيه.

فقال النبي ﷺ لهن: لا تجمعن جوعًا وكذبًا (أي لاتجمعن بين التعفف والجوع).

✍ .. إني قينت عائشة لرسول ا ﷺ:

الله سبحانه وتعالى خلق الأنثى لتكون كائنًا محفوفًا بالجمال والزينة تتأصل في كينونتها وخلقتها، وكان أمر التزين ملازمًا لها كمتلازمة قطر الماء العذب للنهر أو الزهرة للغصن. وعلى الرغم من ذلك إلا أن أمر الاهتمام بالتزين لديها يتذبذب باختلاف مراحلها العمرية وعاداتها ومفاهيمها فهي في الغالب تحرص في مرحلة عقد القرآن أن تكون الأجمل والأبهى في عين الخاطب وتعمد إلى

استخدام زينتها كوسيلة من وسائل لفت الانتباه وتسعىٰ إلىٰ أسر قلبه وتقييد هواه بكل ما استطاعت من وسائل الزينة كالمساحيق ومستحضرات التجميل وقد يتطور معها الحال بملاحقة الأزياء والموضة في كل موسم لتبدو أجمل وأبهىٰ، ثم تبدأ تتراجع وتهمل زينتها بعد الزواج وتعدد المسئوليات ما يجعل الزوج يلومها ويبحث عمن تحقق له السرور والراحة إذا نظر لوجهها.

النساء بعضهنَّ يبالغن في التزين وأخريات تهمله مما يجر علىٰ حياتهم مشكلات تفضي إلىٰ الفكاك والطلاق إذا ما تحسبوا لها منذ البداية، وفطنوا لحلولها القائمة علىٰ التفاهم المتبادل، ولعل التزين للزوج من أنواع الزينة المستحبة التي بها تستطيع الزوجة أن تعفه عن النظر لغيرها وتكون واجبًا إذا طلب منها التزين له وما عليها إلا الطاعة في غير معصية.

وليس التزين يقتضي المبالغة والإسراف بأن تقضي جل وقتها في التزين وتترك مهامها الأساسية في التربية والرعاية للبيت والزوج والأطفال، فأساس الزينة المحافظة علىٰ النظافة مع إضفاء لمسات بسيطة تسر عين الزوج وتجعلها تملك قلبه ولبه وتعفه عن النظر لغيرها وحديث رسول الله ﷺ في ذلك واضحًا حين قال: لا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته (تخريج السيوطي. عن ابن عباس رضي الله عنهما).

وليست الحياة الزوجية قائمة علىٰ الواجبات المنزلية والاهتمام بالأطفال ورعاية متطلبات الزوج المادية فقط بل تضم التوافق

الإنساني والانسجام الروحي لكن الكثير من السيدات تخفق وبيدها تنهي العلاقة بينها وبين من اختارته شريكًا لحياتها بإهمالها في ذاتها وانغماسها في توفير المتطلبات المادية فقط فيمد بصره لغيرها يرىٰ ما يسره مما لا تمنحه إياه زوجته مما يجعله يقع في الخطر ويبتعد عن العفاف ويكون جزء من المسئولية ملقىٰ علىٰ الزوجة.

وفي مختلف مراحل عمر المرأة تبقىٰ تلازم الحلي ولا تنفك عن التزين فهي مجبولة عليه، وهو لا يعيبها حيث يتعلق بإرضائها لأنوثتها، فحينما يذهب جمالها الجسدي يبقىٰ جمال الروح فيها بلا حدود.. تبقىٰ جميلة بحيائها وأنوثتها، لكن من النساء مَن تحاول ابتذال الجمال والتزين بأساليب توقعهنَّ في الممنوع بعيدًا عن ضوابط الزينة المشروعة والمباحة خاصة للزوج والمحارم.

✍ .. هل يجوز الذهاب للكوافير ؟

بعض النساء تذهب للكوافير من أجل التزين، فهل يجوز فعل هذا؟!

نعم يجوز الذهاب للكوافير إذا توافرت خمسة شروط:

1/ أن يكون القائم علىٰ العمل امرأة، ذات خلقٍ ودين.

2/ ألا تضيع المرأة (وبخاصة العروسة) الصلاة، حيث المعتاد أن تذهب العروس للكوافير طوال اليوم فلا تصلي شيئًا، لا هي ولا من معها من الفتيات والنساء.

3/ ألا يكون في التزين ما يخالف الشرع؛ لقول النبي ﷺ : لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات

للحسن المغيرات خلق الله تعالىٰ[1].

والنامصة التي تنقش الحاجب حتىٰ ترقه، والمتنمصة المعمول بها.

4/ ألا تضيع صلاة في بيتها بسبب التزين التي تخاف أن يفسد.

5/ ألا يراها من الرجال إلا زوجها، ومحارمها فقط.

✍ .. فائدة:

يستحب للزوج إذا دخل علىٰ زوجته أن يلاطفها، كأن يقدم إليها شيئًا من الشراب ونحوه.

رسول الصحابيات:

❊❊ أتت أسماء النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله. يا رسول الله، إنني رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وهن علىٰ مثل رأيي، وأنا وافدة النساء إليك، إن الله بعثك إلىٰ الرجال والنساء كافة فآمنا بك واتبعناك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضىٰ شهواتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضىٰ وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل إذا خرج حاجًّا أو معتمرًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟!

❊❊ التفت النبي ﷺ إلىٰ أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟"

(1) رواه الشيخان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلىٰ مثل هذا.

فالتفت النبي ﷺ إليها، فقال: افهمي أيتها المرأة (أو انصرفي يا أسماء)، وأعلمي من خلفك (أي من وراءك) من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها (أي حسن المصاحبة في الحياة الزوجية والمعاشرة) وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله" (أي يعدل كل ما ذكرت للرجال) .

انصرفت أسماء بنت يزيد وهي تهلل وتكبر فرحًا وبشرًا بما قال لها النبي الكريم ﷺ.

✍ .. أفما نشار ک ک م في هذا الأجر والخير ؟!!

في ظل المطالبات بحقوق المرأة، تبرز لنا صورة عظيمة لامرأة عظيمة، تطالب بحقوق النساء الحقيقة أمام نبي الأمة وسيد الخلق ﷺ، ويصغي لها وهي تسرد مطالبها، وتبرز جهودها.

1/ تكلمت المرأة بهذا الخطاب البليغ الذي جمع السلاسة والإيجاز، ولفت الأنظار، وإثارة عنصر التشويق لما ستقوله وما تطالب به، وبيان الغاية منه في ألفاظ قليلة جمعت المعاني في أبلغ عبارة وأجمل أسلوب.

2/ استماع رسولنا ﷺ وإنصاته لهذه المرأة وهي تبسط القول في بيان ماتريده من الحق والإنصاف لها ولجميع من خلفها من النساء.

3/ ما الهدف الذي تسعىٰ له من خطابها؟. هل تريد الحرية علىٰ أوامر الله والاعتراض علىٰ شرعه؟ والتفلت من الواجبات؟! أم تريد التبرج والسفور؟!. أم تريد المال والعطاء والدنيا الزائلة؟. أم تريد انتزاع القوامة من الرجل؟

لقد صاغت مرادها وخلاصة كلامها في عبارة واحدة (فمالنا من الأجر؟!!)

نعم تلك المرأة الربانية لم تسعَ للدنيا وحظوظ النفس والتمرد علىٰ شرع الله عز وجل وحكمه. إنما كانت تريد أجرها عند الله تعالىٰ ومكانتها عنده سبحانه، فهي تطلب حقها الذي أعطاها ربها وخالقها، ولا تريد سواه.

4/ لفتة عظيمة لدور المرأة في بيتها ذلك الدور الكبير الذي غفل عنه دعاة الحقوق ودعاة التحرير وأعداء المرأة حيث سموها عاطلة! ونظروا لها بنظرة الدونية والاحتقار. واعتبروا امتهان وتحقير للمرأة غافلين ومتغافلين عن هذا العمل الذي لو لم تقم به المراءاة لضاع المجتمع وتفككت أركانه، ولهذا الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ سمىٰ المرأة سكنًا (لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ـ ومعنىٰ لتسكنوا إليها (أي لتأووا الىٰ الأزواج) (زاد المسير) فإذا أصبح السكن منعدمًا، فأين يسكن الرجل وأين يأوي؟

5/ تأمل هذه العبارة في حديث أسماء

ـ قواعد بيوتكم (وكيف للبنيان أن يقوم إن لم تكن له قاعدة)

ـ ومفضىٰ شهواتكم وهذا مدلول قوله تعالىٰ ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ﴾ [الروم:21] إن الرجل بحاجة إلىٰ السكن، إلىٰ العطف والحنان والحب يجده في بيته وعند زوجته التي تقوم برعاية بيته وأطفاله لتنتظره عند عودته بالحب والحنان والرحمة وهذه آية من آيات قدرة الله وعظمته.

6/ هذه البشارة التي بشرها رسول الله ﷺ أسماء لتحملها إلىٰ كل

امرأة بعدها وفي زمانها، وإلىٰ أن تقوم الساعة (أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك لفطرتها). وهذا من عظيم رعاية الإسلام للمرأة، فالمرأة لم تطالب بأعمال شاقة ومخالفة مراعاة لطبيعتها.. واكتفاء بما تقوم به من أعمال إدارة الأسرة ورعايتها وإنجاب الذرية. ومع ذلك فقد أكرمها الإسلام فأعطاها مثل ما للرجل من الأجر والثواب؛ لتفرح بما عند الله ويطمئن قلبها بأن الله أكرمها وأجزل لها الجزاء وهي في بيتها ساكنة، وهي قد لزمت بيتها مصلية عابدة قانتة مطيعة لربها وخالقها مراعيه حق زوجها.

فليحذر أعداء المرأة وأصحاب الشهوات. وأصحاب الفكر المنحرف والنفاق الدفين. من التمرد علىٰ شرع الله تحت ستار (حقوق المرأة) فقد ألقمهم نبينا الحبيب حجرًا غصت بها حلقوهم. وشاهت بها وجوههم.

كرمها:

** كان الأنصار رجالًا ونساء يتسابقون إلىٰ الفضائل ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالىٰ، وكانت أسماء ممن حاز السبق في هذا المضمار، فكانت كريمة الطبع سخية، وقد كانت أسماء تفخر بزيارة الرسول لهم، وتقول: كان الرسول إذا جاء إلىٰ بيوتنا يقول ما في هذه البيوت من الخير، هذه خير دور الأنصار. وقد أكرمها الله سبحانه وتعالىٰ فطرح البركة في طعامها الذي قدمته للنبي ﷺ .

** رأت أسماء النبي ﷺ يصلي بمسجدهم المغرب، فجاءت بعرق (اللحم بعظمه) وأرغفة فقالت: بأبي وأمي تعش.

فقال ﷺ لمن معه: كلوا باسم الله.

فأكل هو ﷺ وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن حاضرًا من أهل الدار.

** تقول أسماء: فو الذي نفسى بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرقه، وعامة الخبز (أي بقي منه ببركة النبي عليه الصلاة والسلام)، وإن القوم أربعون رجلًا، ثم شرب ﷺ من ماء عندي في شجب (قربة) ثم انصرف، فأخذت ذلك الشجب، فذهبت فطويته يسقي فيه المريض، ويشرب منه في الحين رجاء البركة(1).

غزوة أحد:

**وخرج المسلمون لملاقاة عدوّهم، عندما علموا أنه قادم إليهم؛ ليثأر لمن قتل منهم بغزوة بدر، وواصلوا السير حتى وصلوا إلى جبل أحد.

** دخل النبي ﷺ أرض (أحد) واحتلّ مواقع متميزة في أرض المعركة ووضع فرقة من الرماة على الثغرة الوحيدة الموجودة في أرض المعركة، وأكد عليهم مرارًا عدم التخلي عن مواقعهم مهما كانت الظروف.

** وبدأ القتال وكان يوم السبت الموافق السابع من شوال بعد غزوة بدر بعام تقريبًا. وبدأ القتال في منتهى القوة والشراسة وأول ما بدأ القتال كان حول راية الكفار.

** واحتدم القتال بين الفريقين وكان شعار المسلمين في هذا اليوم أَمِتْ أَمِتْ، وكانت بداية قوية بالنسبة للمسلمين فقد سقط إحدى عشر قتيلًا من المشركين مقابل لا شيء من المسلمين، فكان النصر في

(1) رواه ابن عساكر.

البداية حليف المسلمين وانهارت معنويات الكفار، وبدأ المشركون يفكرون جديًّا في الهرب، وبدأوا يتراجعون إلىٰ الوراء شيئًا فشيئًا، ثم فروا قِبَل مكة تاركين النساء وراءهم حتىٰ النساء هربن.

** بعد هذا الانتصار العظيم للمسلمين، وبعد هذا الهروب الكبير لجيش المشركين، أخذ الرماة قرارًا عجيبًا، أخذوا القرار بالنزول وترك مواقعهم، فأحدثوا ثغرة في خطة المعركة.

** ورأىٰ خالد بن الوليد الثغرة، وكان قائدًا عسكريًّا محنكًا، فأتىٰ بفرقته بسرعة والتف من حول جبل الرماة، والتف خالد بن الوليد من وراء الجيش الإسلامي وصاح صيحة عالية جدًّا سمعها المشركون الذين يفرون، فعادوا للقتال من جديد، وحوصر المسلمون بين خالد ابن الوليد من الخلف والمشركين من الأمام، التفاف المشركين حول رسول الله ﷺ.

** قال رسول ﷺ : من رجل يبيع لنا نفسه؟، فوثب فتية من الأنصار خمسة منهم زياد بن السكن عم أسماء، فقاتلوا حتىٰ كان آخرهم زياد بن السكن، فقاتل حتىٰ أثبت (جرح جراحه لا يتحرك منها) .

** ثاب إليه ﷺ ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتىٰ أجهضوا (أزالوا) عنه العدو، فقال الرسول ﷺ لزياد بن السكن: أَدنوه مني.. فوسده قدمه فمات شهيدًا وخدّه علىٰ قدم رسول الله ﷺ .

** استُشهد في المعركة ذاتها عامر بن يزيد بن السكن أخو أسماء، وهو الذي جعل جسده تُرسًا يدافع به عن رسول الله ﷺ. فنال الشهادة في سبيل الله.

** استشهد أيضًا عمارة بن زياد بن السكن وهو ابن عم أسماء، ووجد به أربعة عشر جرحًا.

** واستشهد كذلك في أحد أعز الناس إلىٰ أسماء إنه أبوها يزيد ابن السكن، وهو يقاتل دون رسول الله ﷺ .

** ومن عجيب إيمانها وصبرها أنه لما بلغها استشهاد أبيها وأخيها وعمها وابن عمها خرجت تنظر إلىٰ سلامة رسول الله ﷺ وهو قادم من أُحد.. وعندما رأته سالمًا، قالت: كل مصيبة بعدك جلل- أي هينة-، وهكذا كان قلب أسماء مثل سائر قلوب الأنصار.. مملوء بمحبة الله سبحانه ومحبة رسوله الكريم ﷺ .

** نعي لأسماء أبوها وأخوها وعمها وابنها فتلقت الخبر برباطة جأش، ولم تصرخ ولم تشق جيبًا أو تلطم خدًّا أو تحثي علىٰ رأسها التراب، كما تصنع الجاهلات ولكنها استرجعت وسألت بلهفة: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: إنه بخير والحمدلله.

فقالت أسماء: أرونيه حتىٰ أنظر إليه.

فأشاروا إلىٰ مكانه، فلما رأته حيًّا، قالت: كل مصيبة بعدك جلل (أي هينة) يا رسول الله!

غزوة الخندق:

** غزوة الخندق (أو غزوة الأحزاب) وقعت في شهر شوال من العام الخامس من الهجرة بين المسلمين بقيادة رسول الإسلام محمد ﷺ ، والأحزاب الذين هم مجموعة من القبائل العربية المختلفة التي اجتمعت لغزو المدينة المنورة والقضاء علىٰ المسلمين والدولة الإسلامية.

** تصدَّىٰ الرسولُ محمدٌ ﷺ والمسلمون للأحزاب، وذلك عن طريق حفر خندقٍ شمالَ المدينة المنورة لمنع الأحزاب من دخولها، ولمَّا وصل الأحزابُ حدود المدينة المنورة عجزوا عن دخولها.

** حاصر جيش الأحزاب المدينة لمدة ثلاثة أسابيع، وأدىٰ هذا الحصار إلىٰ تعرِّض المسلمين للأذىٰ والمشقة والجوع.

فقد ذهب البعض يشكوا إلىٰ رسول الله ﷺ الجوع، وقد ربط كلٌّ منهم علىٰ بطنه حجرًا، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه فوجدوا حجرين.

** في تلك الأثناء كان الصحابة والصحابيات يرسلون ما عندهم من طعام، فأرسلت أسماء بنت يزيد بقعبة (القَعْبُ: قَدَحٌ ضَخْمٌ غليظ) فيها حيس (تمر وسمن) إلىٰ رسول الله ﷺ وهو عند زوجته أم سلمة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأكلت أم سلمة حاجتها، ثم خرج بالقعبة ﷺ فنادىٰ منادىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ عشائه، فأكل أهل الخندق حتىٰ نهلوا وهي كما هي.

** انتهت غزوة الخندق بانسحاب الأحزاب، وذلك بسبب تعرضهم للريح الباردة الشديدة، ويؤمن المسلمون أن انتصارهم في غزوة الخندق كان لأن الله تعالىٰ زلزل أبدانَ الأحزاب وقلوبَهم، وشتت جمعَهم بالخلاف، وألقىٰ الرعبَ في قلوبهم، وأنزل جنودًا من عنده.

بيعة الرضوان

** خرج ﷺ قاصدًا مكة لأداء العمرة فىٰ غرة ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، وكان عدد الذين كانوا معه حوالي ألفًا وأربعمائة رجلًا، وخرج الجميع بسلاح المسافر فحسب.

** كفار مكة قدر استطاعتهم أن يمنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخول مكة لأداء العمرة، وقد دار بين الجانبين مفاوضات كثيرة، فإرسال رسول الله ﷺ عثمان ابن عفان رضي الله عنه سفيرًا للمسلمين إلىٰ قريش للتفاوض معهم في أمر دخول المسلمين إلىٰ مكة للعمرة.

** عندما تأخر عثمان في الرجوع إلىٰ المسلمين، أشيع بين المسلمين خبر بأن كفار قريش قتلوا عثمان، وهذا يُعَدّ أمرًا خطيرًا ومخالفةً جسيمة للأعراف والقوانين، وفيه إهانة كبيرة جدًّا للدولة التي قُتل رسولها.

** فور وصول هذه الإشاعة إلىٰ أسماع النبي ﷺ، تعامل معها بكل جدية وصرامة، فجمع رسول الله ﷺ المسلمين جميعًا، ثم عقد معهم بيعة علىٰ الثبات وعدم الفرار، وأخذ ثأر عثمان من كفار قريش، وكانت تلك البيعة تحت شجرة عند الحديبية؛ لذا سميت بـ (بيعة الشجرة أو بيعة الرضوان).

** بايع الجميع علىٰ عدم الفرار، أي أنهم سيقاتلون قريشًا، ولن يفروا أبدًا في هذا القتال، وهذا رغم كونهم لا يحملون إلا سلاح المسافر فقط. وقد بايع جميع الصحابة علىٰ هذا إلا واحدًا فقط هو الجَدُّ بن قيس، وهو كان من المنافقين.

** كانت أسماء بنت يزيد من أول الذين حضرن البيعة أي بيعة الرضوان، فبايعت يومئذ وكانت من المؤمنات اللاتي بايعن رسول الله ﷺ ذكر ابن سعد عن عمرو بن قتادة رضي الله عنه قال: أول من بايع النبي ﷺ أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع، وأم عامر أسماء بنت يزيد بن

السكن، وحواء بنت يزيد بن السكن[1].

** عندما علمت قريش بتلك البيعة، ومدىٰ صلابة المسلمين في موقفهم، وقوتهم، وصبرهم، وثباتهم مع رسول الله ﷺ، علمت أن ذلك هو الحق، فأرسلت إلىٰ المسلمين فريقًا للتفاوض معهم، وإبرام الصلح.

** لبيعة الرضوان فضل كبير حيث قال رسول الله ﷺ فيها: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[2] وأن الله ـ عز وجل ـ رضي كل الرضا عن المسلمين الذين بايعوا رسول الله ﷺ.

** كانت أسماء تعتز بهذه الأولية وهذا السبق إلي المبايعة، فتقول: أنا أول من بايع رسول الله ﷺ.

.. من لآلئ البيعة

1/ هذا الموقف الذي أعلن فيه المسلمون تضحياتهم العظيمة، ورغبتهم الأكيدة في الموت هزَّ مكة من داخلها هزة عنيفة، فمن ذا الذي يستطيع أن يقاتل قومًا يطلبون الموت؟! بماذا يهددهم ويخوفهم؟! أبالموت؟! فهذا هو مطلبهم؛ فقد بايعوا علىٰ أن يموتوا وعلىٰ ألا يفروا حتىٰ النهاية، حتىٰ ولو كانوا عُزْلًا أو لم يكن معهم إلا سلاحٌ بسيط.

2/ وهذا الموقف من قِبل المسلمين، والذي هو من صفات الجيش المنصور، هو ما عبر عنه خالد بن الوليد بعد هذا الحدث بسنوات بكلمات قليلة، قد ذكرها لهرمز ملك الأُبُلّة عند بدايات فتح

(1) الطبقات.

(2) رواه أبو داود.

فارس، حين قال له: "جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة (مختصر سيرة الرسول) فالجيش الذي يحب الموت من المستحيل أن يُهزم، لذا قررت قريش إبرام الصلح بكل ما فيه.

3/ ولم يصب المسلمين سوءٌ عندما أخذوا قرار الموت وعدم الفرار، بينما أصابهم الموت في أُحُد واستشهد منهم سبعون رجلًا، وذلك حين أخذوا قرار الفرار (قرار الحياة) يوم أُحُد. قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : احرص على الموت توهب لك الحياة[1] فالجيش الذي يريد الموت حقًّا يهب له الله ـ عز وجل ـ الحياة، ومعها النصر والتمكين والسيادة، أما الجيش الذي يريد العيش أيًّا كان نوعه حتىٰ لو كان رخيصًا أو ذليلًا، فهذا الجيش يكتب الله ـ عز وجل ـ عليه الموت.

جهادها:

** نشأت أسماء بنت يزيد في أسرة وهبت حياتها للدفاع عن الإسلام وعن رسول الإسلام ﷺ . أسرة مجاهدة قدمت أرواح أبنائها فداء للإسلام، وقد ربىٰ الصحابي الشهيد يزيد بن السكن ابنته أسماء علىٰ هذا المنهج، فكان لها في الجهاد صولات وجولات، تسقي وتداوي وتحمل السيف في سبيل الله وتخطب في الناس، فتشتد العزائم وتزداد الإرادة قوة وصلابة، ومع هذا الدور الكبير، كانت تحث الجميع علىٰ الجهاد في سبيل الله، ونصرة الدين الحق، وتدعوهم إلىٰ الصمود في وجه الأعداء، والقتال من أجل النصر أو الشهادة.

غزوة خيبر

** غزوة خيبر، كانت في محرم من السنة السابعة للهجرة، وكانت

(1)ابن قيم الجوازية.

الغزوة بعد عشرين يومًا من صلح الحديبية، وكان عدد المقاتلين المسلمين وقتها ألف وثمان مائة مقاتل فقط لأن الرسول ﷺ قرر أن يقاتل معه في هذه المعركة كل من كان في صلح الحديبية فقط.

**حاصر المسلمون حصون خيبر متأهبين لقتال اليهود، وقد أخذوا أسلحتهم وأعدُّوا عدتهم لذلك، احتدم اللقاء بين الصحابة وبين اليهود، فهذا اللقاء لم يكن ساعة أو ساعتين، ولكنه استمر عِدَّةَ أيام متصلة.

** حضرت أسماء غزوة خيبر مع النبي ﷺ ، وكانت كعادتها تخطب في الجميع، وتنادي بأعلىٰ صوتها، وبكلمات تشق طريقها إلي العقول والقلوب: أن قاتلوا في سبيل الله، وانصروا رسول الله وارفعوا راية الإسلام.

** جرت أثناء القتال مبارزات عديدة، أظهر فيها المسلمون شجاعةً وإقدامًا عظيمين، وكان النصر فيها حليف المسلمين، ورأىٰ اليهود منهم ما زلزلهم وقذف الوهن في قلوبهم.

معر ك ة اليرموك :

** استمرت أسماء علىٰ جهادها فىٰ سبيل الله حتىٰ بعد وفاة النبىٰ ﷺ، وتولىٰ أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، فقد كانت مصاحبة للجيش الذي توجه إلىٰ فتح الشام، تؤازر جيش المسلمين وتشجعهم علىٰ مواصلة القتال، وكانت لها صولات وجولات.

** في السنة الخامسة عشرة للهجرة حشد الروم جيوشهم، بقيادة تدارق أخو هرقل ملك الروم، وجاؤوا بكامل عدتهم وعتادهم لقتال المسلمين في بلاد الشام، واختار الروم أن ينزلوا وادي اليرموك؛ لأنه

المكان الذي يتسع لجيشهم الضخم، الذي يبلغ عدده مائتين وأربعين ألف مقاتل تقريبًا.

** دامت المعركة ستة أيام، كان المسلمون فيها يردون هجمات الروم في كل يوم، حيث كان خالد بن الوليد ﵁ يستخدم "سرية الخيالة المتحركة السريعة" التي يقودها بنفسه ليتحرك بسرعة خاطفة من مكان إلىٰ آخر حيث يكون جيش المسلمين في تراجع تحت ضغط الروم، ويعود كل من الجانبين في نهاية النهار إلىٰ صفوفه الأولية قبل القتال أو إلىٰ معسكراته.

** وجرىٰ الأمر كذلك خلال الأربعة أيام الأولىٰ، كانت فيها خسائر الروم بالأعداد أكبر من خسائر جيش المسلمين، وفي اليوم الخامس لم يحدث شيئ.

** وفي اليوم السادس تحولت إستراتيجية خالد بن الوليد من الدفاع إلىٰ الهجوم، وتمكن بعبقريته الفذة من شن الهجوم المجازف علىٰ الروم واستخدام الأسلوب العسكري الفريد من نوعه آنذاك، وهو الاستفادة الصحيحة من إمكانيات "سرية الفرسان سريعة التنقل" ليحول الهزيمة الموشكة للمسلمين إلىٰ نصر مؤزر لهم.

** وقاتلت نساء المسلمين من خلف الجيوش (في معسكرات المسلمين الخلفية) في هذه المعركة، وقتلن عددًا كبيرًا من الروم، قال أبو عبيدة بن الجراح ﵁ للنساء: خذن بأيديكن أعمدة الخيام، واجعلن الحجارة بين أيديكن، وحرضن المؤمنين علىٰ القتال، فإن كان الظفر لنا فكن علىٰ ما أنتن عليه، وإن رأيتن أحدًا من المسلمين منهزمًا فاضربن وجهه بأعمدتكن واحصبنه بحجارتكن، وارفعن إليه

أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك وعن دين الإسلام، فقالت النساء جميعًا وبصوت واحد: أيها الأمير، أبشر بما يسرك.

فكن يضربن رؤوس الخيل المرتدة بأعمدة الخيام، ويحصبن وجوه أزواجهن وإخوانهن المنهزمين بالحجارة، ويعدون بين أرجل الخيل يطاردن الأعداء، ويضربن بالسيوف.

** وكان النساء كلما وهن الرجال في القتال وانكشف صفٌّ من صفوفهم أمام ضغط العدو الهائل تدخلت النساء، وكن بضربن من انهزم من المسلمين، ويقلن: أين تذهبون تدعوننا للعلوج، فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتىٰ يرجع إلىٰ القتال.

** شاركت أسماء بنت يزيد في تلك المعركة، وكانت يومئذ زعيمة للنساء اللاتي شاركن في تلك الحرب، كما أنها كانت لها موقف من أروع المواقف التي تثبت شجاعتها وقوة عزيمتها وإرادتها التي لا تلين وتدل علىٰ إيمانها الذي ملأ روحها، فإنها عندما تأزمت المعركة وحمي الوطيس واحمرت الحدق حينئذ نسيت أسماء أنها أنثىٰ ولم تذكر إلا أنها مسلمة مؤمنة تستطيع أن تجاهد بما في وسعها وطاقتها، ولم تجد أمامها إلا عمود خيمة، فحملته وانغمرت في الصفوف وأخذت تضرب به أعداء الله ذات اليمين وذات الشمال حتي قتلت به تسعة من الروم بعمود خيمتها.

**وانتهت معركة اليرموك بانتصار المسلمين

✍ .. هل يجوز للنساء المشار ك ة في القتال باستخدام الأسلحة ؟

لمشاركة النساء في القتال حالتين: الأولىٰ: أن يدهم العدو ديار

المسلمين، ويهاجمهم في عقر دارهم، ففي هذه الحالة يجب علىٰ كل أحد قادر علىٰ حمل السلاح - كبيرًا كان أو صغيرًا ذكرًا كان أو أنثىٰ - أن يحمل السلاح، ويدافع عن حوزة المسلمين، ويقاتل عدوهم. وكذلك من لم يقدر علىٰ حمل السلاح، وقدر علىٰ أمر آخر مما يعين علىٰ دفع العدو، وصد هجومهم فعليه أن يقوم بما قدر عليه.

الحالة الثانية: أن يغزو المسلمون عدوَّهم، وفي هذه الحالة يجوز للنساء أن يخرجن مع الجيش الكبير الذي لا يخشىٰ أن يقهرهم عدوهم، ويسبوا من معهم من النساء. وقال ابن عبد البر: وخروجهن مع الرجال في الغزو مباح إذا كان العسكر كثيرًا تؤمن عليه الغلبة. وهذا قول عامة أهل العلم لفعل النبي ﷺ ، فقد خرج بنسائه ونساء المؤمنين في غزوات عدةٍ، واستمر العمل علىٰ ذلك في جيوش المسلمين. وكان النساء يقتصر دورهن ـ في الغالب ـ علىٰ مداواة الجرحىٰ والمرضىٰ، ومناولة الطعام والشراب، وإذا احتيج إليهنَّ لحمل السلاح والقتال فعلن ذلك، خصوصًا في هذا العصر، الذي تطورت فيه آلة الحرب، وأصبح بإمكان المرأة أن تقاتل العدو وهي في بلدها.

لكن إن خرجت ففي حدود ما يلائم طبيعتها، ويحتاج إليها، كما فعلت أم عمارة نسبية بنت كعب الأنصارية النجارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يوم أحد أمام النبي ﷺ ، وفي قتال مسيلمة في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ويروىٰ أنها جرحت يومئذ اثنتي عشرة جراحة، وقطعت يدها. فالمدار علىٰ الحاجة، وعلىٰ أمانهن من السبي والأسر. والأصل أن الحرب من شئون الرجال وواجباتهم، وليس علىٰ النساء جهاد، إلا جهادًا لا قتال

فيه كالحج والعمرة، كما ثبت عن النبي ﷺ . وهذا من تكريم الإسلام للمرأة، والاحتياط في صيانتها. ولتتفرغ لتربية الأجيال وتنشئة الأبطال. وبغير تبادل هذه الأدوار تفسد الحياة، وتنتقض مقاصد الشرع.

التلميذة النجيبة

يجب علىٰ المرأة المسلمة أن تتعلم شؤون دينها، كما يتعلم الرجل، وأن تسلك كل السبل المشروعة الممكنة إلىٰ التسلح بسلاح العلم والوعي، وأن تتنبه إلىٰ مكامن الكيد والغدر، حتىٰ تستطيع أن تؤدي الطاعات، وتقوم بالواجبات في صورة سليمة وصحيحة، وبسبب حرص أسماء علىٰ هذا العلم النافع وصفها ابن عبد البر بقوله: كانت من ذوات العقل والدين (الاستيعاب)

(1) تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم:

** شهد الرسول الله ﷺ صلاة العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، فلما قضىٰ الصلاة قام متوكئًا علىٰ بلال: فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ الناس وذكرهم، وحضهم علىٰ طاعته.

** ثم مضىٰ حتىٰ أتىٰ النساء ومعه بلال، فأمرهن بتقوىٰ الله، ووعظهن وذكرهن، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وحثهن علىٰ طاعته، ثم قال:" تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سطة (أي جلسة وسْط القوم) النساء، سفعاء الخدين (حمرة يعلوها سواد) وهي أسماء بنت يزيد فقالت: لم ذاك يا رسول الله؟

قال:" تكثرن الشكاة (أي الشكوىٰ بالقول والإخبار بسوء الفعل به)، وتكفرن (أي تجحدن) العشير(الزوج لأنه يعُاشِرُها)

فجعلن ينزعن حليهن وقلائدهن وأقراطهن (جمع قرط وهو كل ما علِّق في شحمة الأذن من الحلي) وخواتيمهن، يقذفنه في ثوب بلال، يتصدقن به [1].

✍.. لآلئ الحديث

1/ يستحب لأهل العلم موعظة النساء وتذكيرهن بتقوىٰ الله عزَّ وجل ومخافته والحذر من المعاصي والسيئات، وحضّهن علىٰ الصدقة والاستغفار وأفعال البرِّ، وشكر النّعم[2].

2/ من السُنَّة مباعدة النساء عن الرجال في مجالس العلم والذكر وغيرها، التي يحضرها الجنسان في وقت واحد، كشهود صلاة العيد واستماع الخطبة، والموعظة والدروس. وتخصيص النسوة بمكان معزول عن الأجانب – مع استتارهن بالحجاب– احتياطٌ للحرمات، وصيانة لفضول الفكر والنظر ودرءًا للريب ورعاية لحدود الله عز وجل.

قال ابن حجر –رحمه الله –: في مجيء بلال مع رسول الله ﷺ إلىٰ النساء أدب شريف في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم وهو أن لا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه من شاهد ونحوه؛ لأن بلالًا كان خادم النبي ﷺ ومتولّي قبض الصدقة[3].

3/ المراد بكفران العشير؛ هو جحود إحسانه والتَّنكر لنعمته ونسيان عطائه، وجاء هذا المعنىٰ مفسرًا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي

(1) رواه مسلم والنسائي والبيهقي والدارمي وابن خزيمة وغيره.
(2) نيل الأوطار.
(3) فتح الباري.

ﷺ : أُريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ . قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلىٰ إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط(1) .

ومعنىٰ (رأت منك شيئًا)؛ أي شيئًا قليلًا حقيرًا لا يوافق مزاجها ولا يعجبها. فدَّل هذا الحديث علىٰ أن الإصرار علىٰ استقلال خير الزوج وجحود نعمته سبب كافٍ لوصفه بالكفر، وكونه من الكبائر المتوعد عليها بالتعذيب بالنار، لا ما يصحبه من إساءة العشرة ومعصية الزوج ونحو ذلك(2).

4/ دفع الإثم ورفع البلاء وتكفير الخطايا بالصدقة، وكثرة الاستغفار والتوبة إلىٰ الله تعالىٰ. قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾[آل عمران].

قال ابن بطال- رحمه الله -: الحديث دليل علىٰ أن الصَّدقة تكفِّر الذنوب التي بين المخلوقين اهـ. بعد ردِّ المظالم إلىٰ أهلها أو تحلّلهم منها، فإنه من تمام التوبة في حقِّ المسلم(3) لقول النبي ﷺ : من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلَّلْهُ منها، فإنَّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، من قبل أن يُؤْخَذَ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذ من سيئات أخيه فَطُرِحَت عليه(4).

(1) متفق عليه.
(2) شرح سنن ابن ماجة.
(3) شرح ابن بطال.
(4) رواه البخاري.

فإن تعذَّر التحلّل من المظلوم -المُعْتَدىٰ عليه بالقول أو الفعل- لعدم معرفته أو ترتَّب عليه مفسدة أعظم فيهرع إلىٰ الدعاء له والقيام بما ذُكر من الأعمال الصالحة.

(2) العدة :

❊❊ طُلقت أسماء بنت يزيد من زوجها علىٰ عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فنزل قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: 228].

❊❊ وأسماء هذه هي أول من نزل فيها عدة المطلقات[1].

✍.. (والْمطَلّقَات يتربّصن بِأنفُسِهنّ ثَلاثَةَ قُروءٍ):

حينما يضيقُ الحالُ بالزوجين فلا يطيقُ أحدُهما الأخر، ولا يتقبل رأيه؛ لاختلافٍ في العادات وفي وجهات النظر، وحينما يرىٰ الزوجان أنَّ بيتهما سجن لهما، وأنَّ استمرار الحياة بينهما مستحيل، ماذا يكون الحل سوىٰ الطلاق؟ فقد أحلَّه اللهُ عزَّ وجلَّ ليكونَ هو الحلَّ بعد أنْ تنفذ كلُّ الحلول، ولكنَّ أبغضَ الحلالِ عند اللهِ الطلاق، وقد جعلهُ اللهُ يَمُرُ بثلاثِ مراحل، بقصدِ التروِّي وإعادة النظر، كما وأمرنا ألَّا نُقْبِلَ علىٰ هذه الخطوة إلَّا بعد إعمال العقل والتفكير جيدًا،

فالمرأة المدخول بها إذا طلقت فإما أن تكون من ذوات الحيض، وإما أن تكون من غير ذوات الحيض، فإن كانت من ذوات الحيض فعدتها: ثلاثة قروء أي ثلاث حيضات (تحيض ثم تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم تحيض ثم تطهر) فالعبرة هنا بمجيء الحيض، وليس بعدد الأيام.

(1) رواه أبو داود والبيهقي.

وإن كانت من غير ذوات الحيض ، فعدتها ثلاثة أشهر، أما الحامل فعدتها وضع حملها ، فإذا وضعت حملها فقد انتهت عدتها، ولا فرق في تحديد العدة بين المطلقة طلاقًا رجعيًّا والمطلقة طلاقًا بائنًا، هذا هو حكم الله في العدة،

تجلس المرأة بعد طلاقها من زوجها في بيتها ولا تخرج منه ولا تخطب لزوج آخر حتىٰ تنقضي عدتها، ولا تخرج المعتدة الرجعية من بيتها لعمل أو غيره إلا عند الضرورة لأنها مكفية بنفقة زوجها

(3) **الحيض:**

** جاءت أسماء بنت يزيد تسأل النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل.

فقال ﷺ : خذي فرصة من مسك فتطهري بها، فتحسن الطهور .

فقالت: كيف أتطهر بها؟

فظهر الحياء في وجه رسول الله ﷺ فقال: تطهري بها .

قالت: كيف؟

قال ﷺ: سبحان الله!، تطهري. (فنظر إلىٰ عائشة كأنه يطلب منها العون في هذا الموقف الحرج) .

فاجتذبتها إليّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم(1).

✍ .. **تطهري بها . قالت: كيف؟**

نلاحظ من هذا الموقف أن أسماء تمثل المرأة الواعية التي تتحرىٰ الدقة والعلم واليقين في أمور الدين ، فلا يمنعها الحياء من ذلك، حتىٰ لا تكون علىٰ غضاضة من أي أمر يشكل عليها ، ولذا

---

(1) رواه ابن حبان ومسلم.

امتدحت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نساء الأنصار فقالت : نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين، ويتفقهن فيه[1].

✍ .. لطيفة:

1- أن العلاقة الزوجية لدىٰ أهل مكة القرشيين، كانت قائمة علىٰ غلبة أساس الرجال للنساء. فالكلمة كلمة الرجل، والشأن شأنه، والصوت صوته، ولا صوت للمرأة يعلو مع صوته، ولا شأن لها فيما يفعله وفيما يتركه.

2- أن العلاقة الزوجية لدىٰ أهل المدينة كان علىٰ خلاف هذا، فالأنصار قوم تغلبهم نساؤهم، فالأنصار كانوا يتركون الغلبة لنسائهم؛ فلهن شأن مرفوع، ولهن رأي مسموع، ولهن نفوذ مع أزواجهن. وهذا هو السلوك الذي وصفه عمر بأنه «**أدب نساء الأنصار**»[2]. وبفضل هذه المكانة المحترمة للمرأة المدنية الأنصارية، تميز نساء الأنصار بشجاعتهن في البحث والسؤال عن أحكام دينهن الجديد، حتىٰ فيما يشوبه الحياء والخجل والتحرج. وها هي القرشية أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تشهد للأنصاريات بذلك، حيث قالت:«**نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصار؛ لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه**».

3- فقد كان أدب الأنصار ونساء الأنصار علىٰ وفق الهدي والأدب الذي جاء به رسول الله ﷺ، حيث كان يسمح ويتحمل أن تناقشه أي واحدة من زوجاته وأن تراجعه في رأيه وتصرفه، وأن تهجره

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

طيلة النهار، تعبيرًا عن مغاضبة ومعاتبة، أو لأجل طلب لم يستجب لها فيه.

وعمومًا نستطيع أن نقول: إن هذا الهدي النبوي المتسم بالاحترام والتكريم والتسامح والإيثار في معاملة المرأة، وكذلك خُلق الأنصار مع نسائهم، المطابق للهدي النبوي.. إن هذا قد أحدث نقلة نوعية في معاملة النساء في البيئة العربية التي كانت سمتها السائدة هي غلبة الرجال للنساء.

وما زال كثير من الرجال يعتقدون أن من تمام رجولتهم وقوامتهم، أن يفرضوا إرادتهم واستبدادهم وغلبتهم وخشونتهم علىٰ نسائهم، ويعتقدون أن مراعاة آراء المرأة المخالفة لآرائهم، والتنازلَ عن رغباتهم لرغباتها، وخفض الجناح لها، هو نقصان وضعف لا يليقان برجولتهم ومكانتهم. فلأجل ذلك ولأجل هؤلاء قال ﷺ : خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي[1]

بعض ما روت أسماء بنت يزيد عن رسول ا :

كانت أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واعية للحديث النبوي، فقد لازمت البيت النبوي طويلًا، وكانت محبة للعلم والسؤال

إذ كانت تمتلك الجرأة في الاستفسار، لذلك كانت من أكثر النساء رواية للحديث، فقد روت فيما يذكر 81 حديثًا .

(1) طاعة الزوج:

❊❊ مر رسول الله ﷺ بجوار أسماء بنت يزيد وهي في نسوة، فسمع

(1) رواه الترمذي.

ضوضاءهن، فسلم عليهن وقال مداعبًا: يا معشر النساء .. أنتن أكثر حطب جهنم.

كانت أسماء أجرأهن علىٰ مسألته فنادت رسول الله ﷺ فقالت: بماذا؟

قال ﷺ : إنكن إذا أعطيتن لم تشكرن، وإذا ابتليتن لم تصبرن، وإذا أمسك عنكن شكوتن، وإياكن

فقالت أسماء: يا رسول الله، وما المنعمون؟

قال ﷺ لعل إحداكن أن تطول أيمتها بين أبويها وتعنس، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه مالًا وولدًا، فتغضب الغضبة فتكفر فتقول: ما رأيت منه يومًا خيرًا قط[1] .

✍ .. إيا ك ن و ك فر المنعمين"

أن تشكر الزوجة لزوجها كل شيء يفعله ولا تجحد فضله عليها ، فهذا من كمال خلقها، لأن جحود الزوجة هذا الفضل فإن هذا الجحود يعتبر كفرًا ولكن هذا الكفر ليس هو الكفر المعروف عند العلماء بالخروج من الملة ولكنه كفر النعمة، وهذا الجحود سببًا في دخول صاحبه النار، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ ، قال: لا ينظر الله إلىٰ امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه[2] .

✍ .. ما رأيت منه يوما خيرا قط:

قد ترىٰ بعض الزوجات أن الزوج ما خلق إلا لخدمتها ، فإن أدىٰ ما تطلبه فنعم الزوج، وأن لم يؤد ما تطلبه فبئس الزوج ولا ترىٰ له عليها

---

(1) رواه البخاري وابن عساكر.

(2) رواه النسائي.

نعمة حتىٰ إذا غضبت فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط . لذلك علىٰ الزوجة إن أخطأ زوجها أن تغفر له خطأه وزلته وأن ترحم ضعفه ولا تنسف جهد الزوج بكلمة، فإن الزوج كم أعطاها من خير، فإذا تحول من حال إلىٰ حال سقط من نظرها وأصبح لا يمثل لها إلا كومة مال وبعض الأشياء الأخرىٰ التي تريدها المرأة، فإذا تحول الرجل من غنىٰ إلىٰ فقر أو من قوة إلىٰ ضعف أو من عز إلىٰ ذل فإن المرأة الفاضلة تستر عليه وتغفر ذنوبه وتذكره دومًا بقوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:237] وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

✍ .. انتبه

للزوج حق عظيم علىٰ زوجته قال ﷺ : لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[1] لذلك أحب النبي ﷺ أن يوجه النساء توجيهًا لطيفًا إلىٰ هذا الموضع بتلك الطريقة.

✍ .. قف وانتبه جيدا

علىٰ الرجل يتحمل غضب امرأته عليه

نبه النبي الرجال بواقع حال المرأة إذا غضبت من نكرانها لخير زوجها حتىٰ لا يحزن الرجل إذا وجد من زوجته ذلك فبين أن النساء (يكفرن الإحسان لو أحسنت إلىٰ إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط) [2]، وهذا من الشريعة توضيح للرجل حتىٰ يجد عذرًا لامرأته لأن النساء مهما كان فيهن الصلاح إلا أنهن يكفرن العشرة، فعلىٰ الرجل أن يتحمل عدم شكر زوجته علىٰ ما يقوم

(1) رواه ابن ماجة.

(2) رواه البخاري.

به نحوها وعدم صبرها علىٰ البلاء وكثرة شكوتها في الإمساك عليها وإنكارها لخيره ويعذرها لأن الشريعة بينت أن ذلك يحدث من النساء ولو كن أصحاب دين وصلاح.

(2) عادات باطلة:

** نهىٰ النبي ﷺ بعض النساء عن الندب علىٰ الموت فقال : لا تنُحْن.

فقالت امرأة: لا بد من النوح (النياحة: هي رفع الصوت بالبكاء علىٰ الميت).

فقال رسول الله ﷺ : إن كنتن لا بد فاعلات فلا تخمشن وجها (خَمَّشَتْ وَجْهَهُ بِأَظَافِرِهَا : أَكْثَرَتْ فِيهِ خُدُوشًا)، ولا تخرقن (تَمَزَّقَ) ثوبًا، ولا تحلقن شعرًا، ولا تدعون بالويل، ولا تقلن هجرًا ولا تقلن إلا حقًّا.

فقالت أسماء: يا رسول الله إن بني فلان شاركوني في البكاء علىٰ عمي ولابد أن أشاركهم .

فأبىٰ عليها النبي ﷺ (أي رفض ﷺ أن تفعل ذلك).

.. إن كنتن لا بد فاعلات

هناك أمور لا يملكها الإنسان، فلا يحاسبه الله عليها، ومن ذلك الحزن، والبكاء الذي يرافق الأحزان ونحو ذلك، ولذلك وجدنا رسول الله يحزن، بل يبكي

أما النواح والندب أو البكاء المقرون بهما أو بأحدهما علىٰ الميت فهو منهي عنه وهو من عمل الجاهلية قال ﷺ : إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم، وأشار إلىٰ لسانه[1] .

---

(1) متفق عليه.

(3) شيطان وشيطانة:

❊❊ كان رسول الله ﷺ - والرجال والنساء قعود عنده فقال ﷺ : لعل رجلًا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها. فأزم القوم (أي: سكتوا ولم يجيبوا).

فقالت أسماء: أي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن.

قال ﷺ : «**فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون**» (1) .

(4) خطورة الدين:

تقول أسماء بنت يزيد: دعي رسول الله ﷺ إلىٰ جنازة رجل من الأنصار، فلما وضع السرير تقدم نبي الله ﷺ «**ليصلي عليه ثم التفت فقال: علىٰ صاحبكم دين؟**».

قالوا: نعم يا رسول الله، ديناران.

قال ﷺ : صلوا علىٰ صاحبكم

فقال أبو قتادة: أنا بدينه يا نبي الله . فصلىٰ عليه ﷺ (2) .

✍ **.. على صاحبكم دين ؟**

من أعظم ما يشغل ذمة المؤمن ويثقل كاهله ويورده المهالك يوم القيامة الدَّين بأن يقترض من أخيه مالًا وتبقىٰ ذمته مشغولة به فقد بين النبي ﷺ أن الدين لا يغفر مهما بلغ صلاح المؤمن بل وجاد بنفسه في سبيل الله خلافًا لسائر الذنوب والكبائر التي تطهرها الشهادة كما في صحيح مسلم: (أن رسول الله ﷺ قام في أصحابه

---

(1) رواه أحمد، أبو داود والبيهقي.

(2) رواه الطبراني.

فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله: أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي. فقال رسول الله: نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر. ثم قال رسول الله ﷺ : كيف قلت. قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي. فقال رسول الله: نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك). وهذا يدل علىٰ أن التورط بالدين من أعظم الأخطار التي يبتلىٰ بها المؤمن في الدنيا.

✍ .. لفتة:

النبي ﷺ صلاته علىٰ الجنازة شفاعة عظيمة للمؤمنين والمؤمنات ومع ذلك امتنع عن الصلاة علىٰ من عليه دين؛ لأن حق المخلوق لا يكفره الاستغفار.

(5) اسم الله الأعظم:

تقول أسماء بنت يزيد : سمعت رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين:« **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** » و«**الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم**» إن فيهما اسم الله الأعظم(1) .

✍ .. لفتة:

الدعاء نعمة كبرىٰ جاد بها المولىٰ تبارك وتعالىٰ علىٰ عباده، حيث أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، ولإجابة الدعاء أسباب من أعظمها أن يسأل العبد ربه جل وعلا باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطىٰ وإذا دعىٰ به أجاب.

---

(1)رواه أبو داوود والترمذي.

وارتحلت التلميذة النجيبة:

سكنت أسماء بنت يزيد دمشق. وعاشت إلىٰ دولة يزيد بن معاوية. وتوفيت أسماء في حدود السبعين هجرية. وقبرها في دمشق بالباب الصغير.

توفيت فارسة الفرسان،

وأميرة الفصاحة والبيان،

حباها الله لسانًا طلقًا بليغًا تتلألأ الحروف والكلمات بين شفتيها،

فتشق طريقها إلىٰ العقول والقلوب بلا عناء

توفيت من عرفت برهافة الحس ونبل المشاعر ورقة العاطفة

ومع ذلك كانت لا تعرف الخضوع في القول، ولا الهبوط في المستوىٰ، ولا تقبل الضيم والذل

بل كانت شجاعة، ثابتة، مجاهدة

قدمت لبنات جنسها نماذج رائعة في شتىٰ الميادين

8

الفريعة بنت مالك بن سنان

الفقيرة العفيفة لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها .

نسبها وأسرتها

** هي.. الفريعة ابنة مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري.

**أبوها.. مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الخزرج الأنصاري رَضِوَاللَّهُ عَنهُ ، المجاهد الشهيد

**أمها.. أنيسة بنت أبي حارثة الأنصارية النجارية ـ رَضِوَاللَّهُ عَنهَا ـ، وهي ممن بايع الرسول ﷺ .

وكان قد تزوجها النعمان بن زيد بن عارم، ثم خلف عليها مالك ابن سنان .

** عمها.. مري بن سنان الخدري رَضِوَاللَّهُ عَنهَا ، شهد أحدًا، وبيعة الرضوان، وغاب عن خيبر فأسهم له رسول الله ﷺ منها.

**اخوها الشقيق.. سعد بن مالك بن سنان المكنىٰ بأبي سعيد الخدري رَضِوَاللَّهُ عَنهُ أسلم وهو صغير، وشهد غزوة «الخندق»، وكان من كبار علماء الصحابة، والمكثرين في رواية الحديث. وهو مفتي المدينة.

**أخوها لأمها.. قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري رَضِوَاللَّهُ عَنهُ ، شهد بدرًا، وكان من الرماة المشهورين، وهو الذي أصيب في بدر ، فأصيبت

عينه فسالت حدقته علىٰ وجنته فأراد القوم أن يضعوها، فردها النبي ﷺ براحته فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

** أختها لأبيها.. زينب بنت مالك بن سنان الخدرية.

** أختها لأمها.. أم سهل النعمان بن زيد بن عامر رضي الله عنها أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.

** زوجها الأول.. سهل بن رافع بن بشير بن عمرو بن الخزرج رضي الله عنه وقد توفي عنها وصبرت علىٰ وفاته.

** زوجها الثاني.. سهل بن بشير بن عنبسة بن ظفر رضي الله عنه.

إسلامها:

** عندما أقبل النبي - ﷺ - إلىٰ المدينة مهاجرًا سارع مالك بن سنان وأهل بيته ومنهم الفريعة فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ.

الفريعة تصبر على موت أبيها:

** في يوم السبت الموافق السابع من شوال بعد غزوة بدر بعام تقريبًا. بدأ القتال في منطقة جبل أحد بين المسلمين وكفار مكة في منتهىٰ القوة والشراسة وأول ما بدأ القتال كان حول راية الكفار.

** اشتد القتال واحتدم بين الفريقين، وسقط إحدىٰ عشر قتيلًا من المشركين مقابل لا شيء من المسلمين، فكان النصر في البداية حليف المسلمين وانهارت معنويات الكفار، وارتفعت معنويات المسلمين إلىٰ أعلىٰ درجة، وبدأ يسيطر المسلمون علىٰ الموقف وقاتلوا بقوة وبضراوة شديدة.

** بدأ المشركون يفكرون جديًّا في الهرب وبدأوا يتراجعون إلىٰ الوراء شيئًا فشيئًا، ثم فروا قِبَل مكة تاركين النساء وراءهم حتىٰ النساء

هـربن، وفي هـذه الأثنـاء صـاح الرمـاة الـذين تـم وضـعهم علىٰ الجبـل «الغنيمة، الغنيمة».

** نـزل 40 مقـاتلًا مـن الرمـاة ليحـصلوا علىٰ الغنيمـة مخـالفين بذلك أوامر القائد الأعلىٰ للجيش رسول الله محمد ﷺ.

** كانت ميمنة خالد بن الوليد وميسرة عكرمة بن أبي جهـل ثابتـة دون حراك، فاستغلوا نـزول الرمـاة للغنيمـة، وفي هجمـة مرتـدة سـريعة أطبقـت الأجنحـة علىٰ وسـط المـسلمين الـذين مـن ذهـولهم صـاروا يقتلـون بعـضهم بعـضًا وتمكنـت مجموعـة مـن جيش أبـي سـفيان مـن الوصول إلىٰ موقع الرسول محمد ﷺ.

** استطاع عتبة بن أبي وقاص من جيش أبي سفيان أن يـصل إلىٰ الرسول ﷺ وتمكن من كسر خوذة الرسول ﷺ فـوق رأسـه الـشريف، وتمكن مقاتـل آخـر باسـم عبـد الله بـن شـهاب مـن أن يحـدث قطعًـا في جبهته الشريفة ﷺ، وتمكن ابن قمئة الحارثي من كسر أنفه الشريف ـ ﷺ.

** في هذه الأثناء لاحظ سـماك بـن خرشـة ولقبـه أبـو دجانـة حـال الرسـول ﷺ فـانطلق إليـه وارتمـىٰ فوقـه ليحميـه فكانـت النبـل تقـع في ظهره وبدأ مقاتلون آخرون يهبون لنجدة الرسول ﷺ منهم مصعب بن عمير وزياد بن السكن وخمسة من الأنـصار فـدافعوا عـن الرسـول ﷺ ولكنهم قتلوا جميعًا.

** مـضىٰ النبـي ﷺ يـدعو المـسلمين إليـه، واسـتطاع ﷺ بالرجـال القلائـل الـذين معـه أن يـصعد فـوق الجبـل، فانحـازت إليـه الطائفـة التـي اعتصمت بالصخرة وقت الفرار.

** رأىٰ أبو عبيدة بن الجراح حلقتين من حلق المغفر الذي يضعه الرسول ﷺ فوق رأسه قد دخلتا في وجنتي النبي ﷺ ، فلم يطق صبرًا.. واقترب يقبض بثناياه علىٰ حلقة منهما حتىٰ نزعها من وجنة الرسول ﷺ ، فسقطت ثنيّة، ثم نزع الحلقة الأخرىٰ، فسقطت ثنيّة الثانية..

** فَلَمَّا نُزِعَتْ حَلْقتا المِغْفَر من وَجْنَتي رسولِ الله ﷺ جعل الدم يَسرُب كما يسرُبُ الشَّنّ فجعل مالك بن سنان يَمْلُجُ الدَّمَ بِفِيهِ ثم يزدردهُ، فقيل له: أتشرب الدمَ؟

فقال: نعم، أشرب دم رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ "من مسَّ دمهُ دمي لم تمسّهُ النّارُ

** استشهد مالك بن سنان قتله غُرَابُ بن سفيان الكناني ، وانتهت غزوة أحد وخرج أهل المدينة ليستقبلوا رسول الله ﷺ ومن معه ليطمئنوا علىٰ أهليهم.

** خرج أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع غلمان من بني خدرة يستقبلوا الرسول الله ﷺ وينظروا إلىٰ سلامته ليرجعوا بذلك إلىٰ أهليهم فلما نظر رسول الله ﷺ إلىٰ سعد قال: سعد بن مالك ؟

قال أبو سعيد : نعم ، بأبي وأمي .

** اقترب أبو سعيد الخدري من رسول الله ﷺ فقبل ركبتيه، فقال ﷺ : آجرك الله في أبيك.

** عاد أبو سعيد وهو راض بقضاء الله تعالىٰ وعاد لأخته الفريعة وطمأن قلبها بسلامة رسول الله ﷺ ، وأخبرها باستشهاد أبيها فحمدت الله تعالىٰ علىٰ سلامة رسول الله ﷺ .

❊❊ كان هذا دأب المسلمين والمسلمات يسألون بعد كل غزوة ماذا فعل رسول الله ﷺ ؟ فيسألون عنه ﷺ قبل السؤال عن أهليهم لأن كل مصيبة بعده تهون، ثم احتسبت أباها.

✍..آجرك ا في أبيك

البنت عزوتها وقيمتها ترتفع وتشعر بالأمان والطمأنينة في وجود الأب سواء كانت البنت غير متزوجة، أو متزوجة، فهي تشعر من وراها سند ظهر تستند عليه وعزوه وراها لذلك ففقدان الأب وبكل المقاييس ليس بسيطًا؛ لأن فقدان الأب معناه أنك تخسر الجدار الذي تستند إليه ويجعلك في مهب ريح قد لا ترحم من هم أمثالك، وأيضًا تفقد السماء التي تجود بنبع الحب والحنان، وتفقد المظلة التي تحميك من الشرور وتجعلك وحيدًا في مواجهة العالم، وتحس بمعنىٰ الوحدة ، فقد فقدت من يمد يده ليساعدك، ولو مدت لك ألف يدٍ فإنها لا تغني عن يد والدك المليئة بدفء وحنان الأبوة، كما أن فقدان الاب ليس معناه اليتم فقط، بل يعرف من يتعامل معك أنك وحيدًا أمامه وربما أمام طموحه ومطامعه، كل هذه الأحاسيس لن يعرفها إلا من جربها وعاشها بمقتضىٰ الحال والمآل ، وهنا الفريعة تعطينا درسًا في التحمل والصبر، وكيف أن الرسول ﷺ يجب أن يكون أحب إلينا من كل شيءٍ؛ لذا حمدت الله تعالىٰ علىٰ سلامة رسول الله ﷺ .

بيت عفيف:

❊❊ عاش مالك بن سنان والد سيدتنا فريعة مجاهدًا، ومات شهيدًا.. كان من أفقر أهل المدينة، ولكنه كان عفيفًا فلم يسأل في حياته أحدًا وصبر علىٰ الجوع ، فقد طوىٰ ثلاثًا ولم يسأل أحدًا شيئًا

حتىٰ قال عنه الرسول ﷺ : من أراد أن ينظر إلىٰ العفيف فلينظر إلىٰ مالك بن سنان (أسد الغابة).

** تربت فريعة في تلك الأسرة العفيفة ، فتعلمت الصبر والتعفف والاستغناء بالله ـ عز وجل ـ عن سؤال الناس .

** أصيبت تلك الأسرة بجوع ما أصيبت به مثله قط في جاهلية ولا إسلام فقالت فريعة لأخيها أبو سعيد الخدري: اذهب إلىٰ رسول الله ﷺ فسله لنا فو الله لا يخيب سائله؛ لأنك منه بإحدىٰ اثنتين: إما أن يكون عنده فيعطيك، وإما أن لا يكون عنده فيقول أعينوا أخاكم.. فلم يكره أبو سعيد ذلك.

** لما دنا أبو سعيد من مسجد رسول الله ﷺ ، سمع صوت رسول الله ﷺ ، فقال لنفسه: إن هذا النبي ﷺ يخطب، فكان أول ما فهمه من قوله «**ومن يستعفف يعفه الله .. ومن يستغن يغنه الله ...**» .

فقال أبو سعيد لنفسه: ثكلتك أمك سعد بن مالك والله لكأنك أردت بهذا.. لا جرم.. والذي بعثك بالحق لا أسأل شيئًا بعدما سمعت منك.

** جلس أبو سعيد الخدري يستمع إلىٰ الدرس النبوي في المسجد ولم يسأل رسول الله ﷺ . وخرج من المسجد عائدًا إلىٰ البيت.

** لما عاد أبو سعيد إلىٰ أخته وقد جهدها الجوع والانتظار.. أبصرت أنه لا يحمل شيئًا سألته فقال لها: فو الله ما يخيب سائله وأخبرها القصة.

قالت: فسألته بعد ذلك؟

قال: لا .

قالت : أحسنت.

** لما كان من الغد فإني والله لأتعب نفسي تحت الأحم إذ وجدت من دراهم يهود.. فابتعنا به وأكلنا، ثم والله ما زال النبي ﷺ محسنًا".

.. انتبه:

انظر كيف تساند المومنة الصابرة أخاها في الخير، وتحضه عليه، فأكرم الله البيت المالكي الخدري فأصبحوا باستعفافهم عن سؤال الناس أغنىٰ الأنصار(بنات الصحابة).

هكذا إذًا نرىٰ صبر هذه الصحابية الجليلة واستعفافها سلوكًا راسخًا في هذه الأسرة الكريمة ذات الأسس المتينة والتربية النبوية . فكانت نموذجًا لكل فقير صابر متعفف وكل صابرة متعففة تنتظر ما وعد به رسول الله ﷺ من العفة والغنىٰ ورفع الضيق: «من يستعفف يعفه الله... ومن يستغن يغنه الله..».

في هذا الصدد يقول الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله: **«استكملت الإيمان من أصبحت أعمالها مطهرة من النفاق مخلَصة لوجه الله تعالىٰ. بواعثها القلبية لا تكذب أفعال جوارحها. تعرض كل أفعالها علىٰ الشريعة لتتأكد من أن ما تأتي وما تذر، ما تعطي وما تمنع ، ما تحب وما تبغض، لا يملي الهوىٰ والشيطان أوامره، ولا توسوس به النفس المراوغة الممانعة لمقتضىٰ الشرع» . « إنها أعمال قلبية تزكي الأعمال الجوارحية، إنه إخلاص لوجه الله تعالىٰ، إنه إمساك**

واستمساك بالعروة الوثقىٰ بدل التشبث بحبال الدين الرث البالي»[1].

امكثي في بيتك :

** خرج سهل بن رافع بن بشير بن الخزرج زوج فريعة في طلب عبيد له أبقوا (هربوا)، حتىٰ إذا كانوا بطرق القدوم قرب المدينة المنورة لحقهم فقتلوه

** جاءت فريعة عندما جاءها نبأ قتل زوجها إلىٰ رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلىٰ أهلها في بني خدرة فقالت: يا رسول الله ، إنه جاء نعي زوجي وأنا في دار من دور الأنصار شاسعة ولم يتركني في مال أرثه منه ولا مسكن يملكه ولا نفقة، وقد أحببت إن رأيت ذلك أن ألحق بأهلي وإخوتي فإنه أجمع لي في بعض أمري .

فقال ﷺ : فافعلي إن شئتِ.

** بذلك أذن ﷺ لها أن تلحق بإخوتها إن أحبت ذلك ، فقامت فرحة بذلك مسرورة حتىٰ إذا خرجت إلىٰ الحجرة أو إلىٰ المسجد دعاها أو أمر بها فدعيت فقال ﷺ : ردي حديثك.

** رددت فريعة عليه ﷺ القصة فقال ﷺ : امكثي في بيتك الذي جاء فيه نعي زوجك حتىٰ يبلغ الكتاب أجله .

** فاعتدت فيه أربعة أشهر وعشرًا .وامتثلت لأمر الرسول ﷺ ، فلما تمت عدتها خلف عليها سهل بن بشير بن عنبسة الأنصاري .

✍ .. امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله:

قال الأئمة الأربعة بوجوب ملازمة الحاد من وفاة بيتها، ولا حرج عليها أن تخرج نهارًا لحاجتها، كمراجعة المستشفىٰ أو المدرسة أو

---

(1) تنوير المؤمنات.

السوق ونحو ذلك، ولكن لا تبيت إلا في بيتها، قال ابن عمر ﵄: لا تبيت المتوفىٰ عنها زوجها ولا المبتوتة إلا في بيتها[1]، ولها أن تكلم من شاءت من الرجال من محارمها وكذا من غيرهم إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك، مع التزامها بالستر والحجاب الشرعي وعدم الخلوة.

أما الحكمة من مشروعية لزوم المعتدة من وفاة بَيتها فهي امتثال أمر النبي ﷺ بذلك، وهذه أعظم الحكم وأعلاها، قال ابن القيم: والكون في بيتها عبادة ا.هـ[2].

وقال أيضًا: «فإن قيل: فهل ملازمة المنزل حق عليها أو حق لها؟ قيل: بل هو حق عليها إذا تركه لها الورثة، ولم يكن عليها فيه ضرر، أو كان المسكن لها، فلو حولها الورثة، أو طلبوا منها الأجرة، لم يلزمها السكن وجاز لها التحول ا.هـ»[3].

✍ .. انتبه جيدا:

يلزم المعتدة من وفاة زوجها الأحكام التالية:

1/ يجب عليها أن تعتد في المنزل الذي مات فيه زوجها، وهي فيه، ولو مؤجرًا أو مالكًا، ولا يجوز تحولها إلىٰ غيره إلا لعذر، كأن تخاف علىٰ نفسها البقاء فيه، أو تحول عنه قهرًا أو لغير ذلك، فيجوز لها التحول حيث شاءت؛ للضرورة.

2/ ملازمة البيت الذي تعتد فيه وعدم الخروج منه لغير حاجة. ويجوز لها الخروج من بيتها لحوائجها نهارًا لا في الليل؛ لأن الليل

(1) رواه مالك والبيهقي.

(2) زاد المعاد.

(3) زاد المعاد.

مظنة الفساد، فلا تخرج فيه من غير ضرورة، بخلاف النهار فإنه مظنة قضاء الحاجات.

3/ يجب عليها الإحداد علىٰ زوجها مدة العدة، هو ترك المرأة الزينةَ، والطيب، وغير ذلك مما يُرَغِّبُ فيها، لقول أم سلمة رَضِوَاللَّهُعَنهَا: لا يَحِلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أن تُحِدَّ علىٰ مَيِّتٍ فوق ثلاثِ لَيَالٍ، إلا علىٰ زوجٍ، فإنها تُحِدُّ عليه أربعةَ أَشْهُرٍ وعَشْرًا (1).

4/ ليس لها النفقة، لانتهاء الزوجية بالموت.

بيعة الرضوان:

** أرسل رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية عثمان بن عفان رَضِوَاللَّهُعَنهُ إلىٰ أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء معتمرًا، وأنه لا يريد حربًا.

** لما ذهب عثمان حبسوه أهل مكة عندهم، وجاء الخبر إلىٰ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فدعا رسول الله ﷺ إلىٰ البيعة علىٰ أن يدخلوا مكة حربًا، وبايعوه علىٰ الموت، فكانت بيعة الرضوان وكانت هذه البيعة تحت شجرة سمرة بالحديبية.

** فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله ﷺ علىٰ أن يأتي في العام القابل، ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام.

** كانت الرفيعة بنت مالك بن سنان من النساء اللاتي بايعن رسول الله ﷺ تلك البيعة بكل ما فيهما من شروط.

** قالت أم مبشر رَضِوَاللَّهُعَنهَا، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة

---

(1) رواه البخاري.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها(1) قال النووي: قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعًا، وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك.

مع عثمان

** في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثت حادثة مثل ما حدث مع فريعة فسئل عن مثل ذلك.

** أرسل عثمان بن عفان إليّ فريعة، فدخلت عليه وهو في جماعة من الناس فسألها عن شأنها وبماذا أمرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته.

** أرسل عثمان إلىٰ المرأة التي توفي عنها زوجها فأمرها أن لا تبرح بيتها حتىٰ يبلغ الكتاب أجله .

.. لفتة

لم يفتِ سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمرأة لأن الإفتاء مسؤولية عظيمة ، وأمانة ثقيلة لذا سأل الفريعة لأنها أهل علم بهذا الامر ، وقد جاء أمر الله – عز وجل – بسؤال أهل العلم متىٰ ما جهل المرء أمرًا فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل] ، فلو لم يكن من أهمية السؤال إلا أن الله – عز وجل – أمر به في محكم التنزيل لكان كافيًا في الحرص عليه، والأمر للوجوب، فمن جهل وجب عليه السؤال.

(1) رواه مسلم.

9

أم ورقة بنت نوفل

قال لها للرسول ﷺ : «**فإن الله تعالىٰ مهدٍ لك شهادة**».

نسبها وأسرتها:

هي.. أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكنيتها: أم ورقة بنت نوفل، فنسبت إلىٰ جدها الأعلىٰ.

إسلامها:

** أسلمت أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث علىٰ يد مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانت مع السابقات للإسلام .

** حينما هاجر الرسول ﷺ إلىٰ المدينة، بايعته ﷺ كما فعلت نساء الأنصار

** كانت من فضليات نساء عصرها، ومن كرائم نساء المسلمين. نشأت علىٰ حب كتاب الله تعالىٰ، وراحت تقرأ آياته آناء الليل وأطراف النهار حتىٰ غدت إحدىٰ العابدات الفاضلات، فجمعت القرآن، وكانت تتدبر معانيه، وتتقن فهمه وحفظه، كما كانت قارئة مجيدة للقرآن، كما أنها تحفظ عشرات الآلاف من أبيات الشعر.

صلي في بيتك

** اشتهرت أم ورقة بنت نوفل بكثرة الصلاة. وكان رسول الله ﷺ يقدرها، ويعرف مكانتها ويكبر حفظها وإتقانها، ويأمر بأداء الصلاة في بيتها.

** استأذنت أم ورقة بنت نوفل النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنًا، فأذن لها النبي ﷺ ، فتخذت لها مؤذنها شيخًا كبيرًا، وأمرها أن تؤم أهل دارها وتصلي بهم، فكانت تؤمّ المؤمنات المهاجرات

.. إمامة المرأة للصلاة:

إن فقهاء المذاهب الإسلامية المشهورة المتبوعة في سائر بلاد المسلمين قد نصوا علىٰ حرمة أن تؤم النساءُ الرجالَ، وعلىٰ بطلان صلاة الرجال الذين يأتمون بالنساء،

ولحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**لا تؤمن امرأةٌ رجلًا**»(1).

ولأنه لو كانت إمامتهن جائزة لنقل ذلك عن الصدر الأول(2)، لاسيما والصلاة من مسائل العبادات والأمر فيها مبني علىٰ التوقف(3).

إلا أن الاستاذ : عبد الكريم زيدان ذهب إلىٰ رأي مخالف حيث قال:«والراجح جواز أن تؤم المرأة الرجل مع أهل بيتها في دارها إذا كانت المرأة هي الأولىٰ بالإمامة من الرجل لكونها أقرأ وأفقه فقد روىٰ أبو داود في سننه حديث أم ورقة برواية جاء فيها: «وكانت -أم ورقة- قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنًا..» وكان مؤذنها شيخًا كبيرًا، وهذا يدل علىٰ عدم قدرته علىٰ الإمامة وأن أم ورقة كانت أقدر منه وأكفأ في الإمامة. أما إمامة المرأة للرجل أو

---

(1) سنن ابن ماجة.

(2) بداية المجتهد.

(3) فتاوىٰ اللجنة الدائمة.

للرجال في المسجد فلا يجوز اتباعًا لمذهب الجمهور، والذي يؤيده أنه لم ينقل إلينا ولو لمرة واحدة، أن المرأة صارت إمامًا في الصلاة لجماعة الرجال لا في عهد الصحابة ولا في عهد من جاء بعدهم من التابعين» (1).

الخلاصة: اتفقت المذاهب الإسلامية المتبوعة أن إمامة المرأة بالرجال غير جائزة، وأن من صلىٰ خلفها من الرجال فصلاته باطلة. علىٰ المرء أن يبتعد عن الشبهات حتىٰ يستبرأ لدينه وعرضه، وعليه بالمحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلَا هالك.

للمرأة أن تؤمّ النساء في الفريضة والنافلة، ولها أن تقرأ في المصحف، ولها أن تجهر بصوتها إذا كانت في وسط النساء. وتقف إمامة النساء في وسطهن ولا تتقدّم عليهن. فقد روىٰ عبد الرزاق عن الثوري عن ميسرة بن حبيب النهدي عن ريطة الحنفية: أن عائشة أمّتهن وقامتْ بينهن في صلاة مكتوبة .وروىٰ ابن حزم في المحلّىٰ من طريق تميمة بنت سلمة عن عائشة أم المؤمنين: أنها أمّت النساء في صلاة المغرب، فقامت وسطهن، وجهرت بالقراءة.

الشهيدة الحية:

** في العام الثاني للهجرة أراد رسول الله ﷺ أن يغزو المشركين ويستولي علىٰ قافلتهم التجارية الكبرىٰ عند بدر. وترامىٰ النبأ لأم ورقة بنت نوفل ، فأبت إلا أن تشارك في الغزو. ولم تمنعها مسؤولياتها في دارها ، من أن تتحمل واجبًا أخر هو واجب الجهاد في سبيل الله تعالىٰ .

(1) المفصل في أحكام المرأة.

** انطلقت أم ورقة إلىٰ رسول الله ﷺ لتستأذنه في أن تشارك في هذه الغزوة فتضمد جراح المقاتلين، وتداوي مرضاهم، وتؤمن لهم حاجاتهم من مأكل ومشرب، وتلبي طلباتهم أثناء المعركة، لعل الله أن يرزقها الشهادة. فقالت: سمعت أنك يارسول الله قد دعوت الناس للجهاد، يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة .

قال ﷺ : يا أم ورقة اقعدي في بيتك، فإن الله سيهدي لك شهادة في بيتك.

** عادت الصحابية العابدة أم ورقة إلىٰ بيتها سامعة مطيعة أمر النبي ﷺ لأن طاعته واجبة.

✍..**لطيفة:**

إنها وإن كانت تطلب أن تمرض جرحىٰ المسلمين إلا أن هناك مرمىٰ آخر بعيدًا وهو الذي أخرجها. ألا وهو الشهادة. أي إيمان هذا الذي يدفع المؤمن إلىٰ الشهادة في سبيل الله؟! لابد أنه الإيمان الصادق والدين السليم الذي إن لامس القلوب تجد عجبًا وتجد للحياة معنىٰ وتجد لها قيمة .ويستشرف الرسول الكريم ﷺ صدق نيتها ويستشرف الغيب بعين النبوة فيقول لها «**قري في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة**»[1] .

جهاد لا قتال فيه:

** أرسلت مجموعة من الصحابيات الصحابية أم ورقة بنت نوفل إلىٰ الرسول ﷺ ، فقالت: يا رسول الله، إني وافدة النساء إليك، وجدنا

(1) رواه أبو داود.

الرجال غلبونا بالجهاد، أفنجاهد؟

فقال ﷺ : عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة .

✍.. وجدنا الرجال غلبونا بالجهاد، أفنجاهد؟

جهاد الكفار بالقتال ليس واجبًا علىٰ المرأة، ولكن عليها جهاد بالدعوة إلىٰ الحق، وبيان التشريع، في حدود لا تنتهك فيها حرمتها، مع لبس ما يستر عورتها، وعدم الاختلاط بالرجال غير المحارم، وعدم الخضوع بالقول والخلوة بالأجانب، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله هل علىٰ النساء من جهاد؟ قال: «**نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة** »(1) والسبب فىٰ عدم وجوب الجهاد علىٰ النساء –والله أعلم – ما يلي:

1/ أن تكوين المرأة الخلقي يختلف عن الرجل، فقد هيأ الله تعالىٰ كل واحد من الرجال أو النساء للقيام بما كلف به من وظائف، فالطبيعة التي خلقت عليها المرأة من ضعف البنية في الجسم، ورقة في العاطفة، وفزع عند المصائب، كلها تتنافىٰ مع ما يستلزمه الجهاد من قوة الجسم، وكمال في العقل، وقدرة علىٰ التحمل، وشجاعة، وإقدام، فالإسلام راعىٰ هذا الأمر، ولم يوجب علىٰ المرأة الجهاد.

2/ أن المرأة مأمورة بالستر والحجاب، والقرار في البيت، والابتعاد عن الرجال، وعدم الاختلاط بهم ومواجهتهم، ففي إيجاب الجهاد عليها تعريض لها للخروج أمام الرجال، والاختلاط بهم، ومزاولة الأعمال الخاصة بهم.

هل معنىٰ عدم وجوب الجهاد أنه لا يجوز لها الخروج للجهاد

---

(1) رواه أحمد وابن ماجة.

مطلقًا؟. لا ولكنها تشارك طبقًا لطبيعتها .

وهناك بعض المجالات التي يمكن أن تسهم فيها المرأة، وهي بالنسبة لها من باب الجهاد ومنها :

1/ العمل في البيت بمختلف شعبه، وألوانه، من خدمة الزوج، ومعاونته، ومساعدته في مهامه، وتهيئة الجو المناسب له، وإعداد ما يلزمه من حاجيات وغيرها، وكذا القيام علىٰ تربية الأبناء والبنات. قال ﷺ : والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها[1] .

2/ العمل في مجالات العمل الأخرىٰ إذا لم يخل في العمل البيتي، وأن يكون ذلك في المجالات الخاصة بالمرأة، كأن تعمل معلمة للطالبات، أو طبيبة للنساء، أو ممرضة لهن، ونحو ذلك.

3/ العمل بوسائل الدعوة المتاحة لها، كالكتابة في المجالات المختلفة، أو النصيحة المباشرة، أو غير المباشرة، ونحو ذلك من الوسائل التي تستطيعها، وكل ذلك من الجهاد.

4/ سائر الطاعات والقربات، قياسًا علىٰ الحج والعمرة

زيارة الشهيدة:

** كان الرسول ﷺ يقصدها في زياراته لبيوت الأنصار، ويطمئن علىٰ صحتها وحالها. ورغم ما يُروىٰ عن ثراء بيتها إلا أنها كانت تفيض حبًّا للناس وتواضعًا.

** كان النبي ﷺ كان إذا أراد زيارتها اصطحب معه ثلة من أصحابه الكرام ، وقال لهم :انطلقوا بنا نزور الشهيدة .

(1) رواه البخاري.

أبو بكر؛

انصرفت إلىٰ حفظ آيات كتاب الله تعالىٰ والتفقه في معانيها، ولم تكتف من اهتمامها بكتاب الله بهذا القدر، بل عكفت علىٰ جمع آياته مكتوبة علىٰ العظم والجلد والرقائق في دارها مرتبة كما كان يأمر رسول الله ﷺ؛ ولذلك كان بيتها مرجعًا لأبي بكر الصديق في جمع القرآن من البيوت، ومن صدور الحفظة.

كانت مرجعًا أمينًا، عاد إليه الخليفة أبو بكر الصديق عند جمعه القرآن الكريم من البيوت وصدور الحفظة.

كان لسانها رطبًا بذكر الله حيثما كانت ! يتردد صوتها بالقرآن مع الفجر بين جنبات دارها، فيمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيسمع آيات الذكر الحكيم ، فيقول:« هذا صوت خالتي أم ورقة!».

ونالت الشهادة:

** ظلت الصحابية الجليلة أم ورقة رضي الله عنها تحافظ علىٰ شعائر الله تعالىٰ طوال حياة رسول الله ﷺ ، وكانت تنتظر ما بشرها الرسول، ﷺ.

** انتقل رسول الله ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ وهو راض عن أم ورقة ، ثم جاء عهد أبي بكر، رضي الله عنه، فتابعت حياه العبادة والتقوىٰ علىٰ الصورة التي كانت عليها من قبل.

** كانت أم ورقة تعيش في دارها الفسيحة، التي اتخذته مسجدًا للنساء. وقد تقدمت بها السن ، ومعها غلام وجارية يقومان علىٰ خدمتها، تعاملهما معاملة الأم لولديها عطفًا وحنانًا، وتجاوبت مع شرع الله تعالىٰ في فتح باب الحرية للعبيد، فأعلمت الغلام والفتاة

بأنهما حران بعد وفاتها، فقد قالت لهما: أنتما حران بعد موتي.

** في عهد عمر كان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بتفقدها ويزورها اقتداء بنيه ﷺ . فلما طال بالغلام والجارية، الأمر ولم تمت أم ورقة سريعًا كما كانا يأملان، فتآمرا علىٰ قتلها في غفلة من أهلها، وخلو دارها ليحظيا بالعتق.

** وذات ليلة قاما إليها فتناولا ثوبًا من قطيفة - دثار مخمل- لها، وتعاونا علىٰ خنقها وغمياها تحت ذلك الثوب حتىٰ ماتت، وفرَّا أملين بالحرية والتحرر من العبودية.

** فلما أصبح عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة . قد كانت كل ليلة تقوم وتقرأ القرآن، وكان عمر يسمعها، فافتقد صوتها تلك الليلة.

** أرسل عمر من يستطلع الخبر ويقرع عليها باب بيتها ويعلم مابها، لكن رسله عادوا دون أن يأتوه عنها بخبر. فبيتها مقفل ولا أحد يرد من داخله.

** شك عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ في الأمر وذهب بنفسه يبحث عن السبب.دخل الدار فلم يجد أحدًا، ودخل البيت، فإذا هي مسجاة علىٰ الأرض، ولقد لفت في قطيفة إلىٰ جانب البيت. فقال: الله أكبر، لقد صدق رسول الله حين لقبها بالشهيدة.، ولم يجد غلامها ولا جاريتها.

** صعد عمر المنبر وأعلن في الناس استشهاد أم ورقة وقال: إن أم ورقة قد غمها غلامها وجاريتها، فقتلاها وإنهما هربا.

وأمر بتعقبهما واقتفاء أثرهما وإحضارهما لينالا عقابهما. فقال: من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما.

** تجند الناس جميعًا للبحث عنهما فعثروا عليهما هاربين. ثم جيء بهما إلىٰ عمر بن الخطاب، فاستجوبهما فأنكرا بادئ الأمر ، ثم اعترفا : بأنهما هما اللذان قتلاها.

** أكد عمر ما كان قاله بالأمس: صدق رسول الله ﷺ حين كان يقول: انطلقوا بنا نزور الشهيدة.

** كان عقاب الغلام والجارية صارمًا، فقد أمر عمر بن الخطاب بصلبهما فصلبا، فكانا أول مصلوب في المدينة، وكانت أم ورقة أول امرأة يعاقب لقتلها غلام وجارية بالصلب.

** وعَمَّ المدينةَ حزن شديد، فلم تبق عين إلا ودمعت حزنًا وأسًىٰ علىٰ أم ورقة، ولم يبقَ قلب إلا وقد انفطر ألمًا علىٰ المؤمنة الصادقة.

رحم الله تعالىٰ الصحابية الأنصارية والشهيدة العابدة أم ورقة ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

هكذا رحلت العابدة الزاهدة عن دنيا الناس وفازت بالشهادة بعد أن خدمت دينها،

هي أول امرأة في الإسلام يؤذن في دارها.

وهي أول امرأة تؤم النساء في صلاة في المدينة.

وهي أول امرأة في الإسلام لقبت بالشهيدة.

وهي أول امرأة يصلب بسببها عبد وجارية.

10

أم المنذر سلمى بنت قيس الأنصارية

الـمُصلّية للقِبلتين... المحافظة علىٰ البيعتين لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة

نسبها وأسرتها:

** هي.. أم المنذر سَلْمَىٰ بِنْت قَيْس بن عمرو بـن عبيـد بـن مالـك ابن عَدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النَّجّار الأنصارية، كَانَتْ إِحْـدَىٰ خَالاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ من جهة أبيه.

** أمها .. زغيبة بنت زرارة بن سعد بن عبيد الله بن ثعلبة النجاريـة رضي الله عنها أسلمت وبايعت الرسول ﷺ .

** خالها.. سعد بن زرارة رضي الله عنه ، شـهد العقبتين وكـان نقيبًا لبنـي النجار، ولم يكن في النقباء أصغر سنـًا منه، ويقال أنه أول من بـايع ليلـة العقبـة. وهـو أول مـن مـات مـن الـصحابة بعـد الهجـرة وأنـه أول ميـت صلّىٰ عليه النبي ﷺ .

** أخوها.. سُليط بن قيس رضي الله عنه واحد من فرسان مدرسة النبـوة ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق، والمـشاهد كلهـا مـع رسـول الله ﷺ وهـو أحد أبطال معركة الجسر الشهيرة مع أبي عبيدة، حيث قتل يوم الجـسر سنة 14 من الهجرة، ولم يكن له عقب.

إسلامها:

** اختار الرسول، ﷺ ، مصعب بن عمير، رضي الله عنه، لأعظم مهمـة في

حينها: أن يكون سفيره إلىٰ المدينة، يفقه الأنصار الذين آمنوا، وبايعوا الرسول، ﷺ، عند العقبة، ويُدْخِلَ غيرهم في دين الله.

** حمل مصعبٌ الأمانة مستعينًا بما أنعم الله عليه من رجاحة العقل، وكريم الخلق، ولقد غزا أفئدة المدينة وأهلها بزهده، وترفعه، وإخلاصه، فدخلوا في دين الله أفواجًا.

** كانت سَلْمَىٰ بِنْت قَيْس من أولىٰ المؤمنات اللائي دخل الإيمان في قلوبهن من أول يوم صافح أسماعهن عن طريق دعوة مصعب بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إلىٰ الإسلام في المدينة، فأعلنت إسلامها لتحوز السبق في مضمار السابقات.

بيعة الإسلام:

** تشرّف الأنصار بهجرة الرسول ﷺ إلىٰ مدينتهم المدينة المنورة، وكان هؤلاء الأبرار الأخيار يتسابقون في استضافة النبي ﷺ وصحبه الكرام من المهاجرين.

** مدح نبينا ﷺ العظيم هؤلاء الأنصار فقال: خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير(1).

** أقبل الأنصار علىٰ الدخول في دين الله أفواجًا، وكان للنساء نصيب من هذا الإقبال المجيد، ومن هؤلاء النسوة امرأة من بني النجار هي سلمىٰ بنت قيس الأنصارية النجارية أم المنذر.

** جائْتُ سَلْمَىٰ بِنْت قَيْس إلىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ «**ومعها نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ ليبايعنه بيعة الاسلام فشرطت عليهن : أَنْ لا يشْرِكَن بِاللهِ شَيْئًا،**

(1) رواه مسلم.

وَلاَ يَسْرِقَن، وَلا يَزْنِينَ، وَلا يَقْتُلَن أَوْلاَدَهن، وَلاَ يأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يفْتَرِنه بَيْنَ أَيْدِينَهن وَأَرْجُلِنهن، وَلاَ يعْصِينهُ فِىٰ مَعْرُوفٍ،وَلاَ يغْشُشْنَ أَزْوَاجَكهُنَّ».

** فَبَايَعْوهُ ثُمَّ انْصَرَفْنَ، فَقُالْتُ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ لسَلْمَىٰ بِنْت قَيْس: ارْجِعِي فَاسْأَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ : مَا غِشُّ أَزْوَاجِنَا،

** رجعت سَلْمَىٰ بِنْت قَيْس فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: "تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ (أىٰ تعطيه له ، تقربًا وتفضيلًا) (1) .

.. هل يجوز للمرأة أن تنفق أو تتصدق من مال زوجها أو بيته؟

عن أبي أُمَامَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْطَىٰ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ ، وَلا تُنْفِقُ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنْ بَيْتِهَا إلا بِإِذْنِ زَوْجِهَا ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَلا الطَّعَامَ ؟ قَالَ : ذَاكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا (2). قَوْله (إلا بِإِذْنِ زَوْجهَا) أَيْ صَرِيحًا أَوْ دَلالَة . وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِذَا أَنْفَقَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَام بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ(3)وعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يَجُوزُ للزوجة التَّصَدُّقُ مِنْ مَالِ زَوْجِهَا إلا إذا إذن لها بذلك بالتصريح أو الدلالة .

الخالة الكريمة:

** تروي كتب الأنساب بكثير من الفخر نسب القرشيين خصوصًا بني عبد مناف، فقد كان ابنه هَاشِم رجل تجارة كثير المال،

(1) رواه أحمد والطبراني.

(2) رواه أحمد.

(3) رواه البخاري ومسلم.

لما نزل في إحدىٰ رحلاته بالمدينة، تَزَوَّجَ سَلْمَىٰ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ لَبِيدِ بْنِ حَرَامٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ فَوَلَدَتْ لَهُ شَيْبَةَ الْحَمْدِ.

** ثُمَّ تُوُفِّيَ هَاشِمٌ في غزة في فلسطين وَهُوَ مَعَهَا فَلَمَّا أَيْفَعَ وَتَرَعْرَعَ، خَرَجَ إِلَيْهِ عَمُّهُ الْمُطَّلِبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، فَأَخَذَهُ مِنْ أُمِّهِ وَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، وَهُوَ مُرْدِفُهُ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ، فَقِيلَ: عَبْدٌ مَلَكَهُ الْمُطَّلِبُ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الِاسْمُ فَقِيلَ: عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وكانت سلمىٰ هذه ذات حسب ونسب وشرف.

** النبي ﷺ دخل علىٰ رجل من بني النجار يعوده فقال له رسول الله ﷺ : «**يا خال قل لا إله إلا الله**».

فقال: خال أنا أو عم؟

فقال النبي ﷺ : «**لا، بل خال**». فقال ﷺ : «**قل لا إله إلا الله**».

قال: هو خير لي؟

قال ﷺ : نعم [1] .

** لذلك كان الرسول الكريم ﷺ يقول عن بني النجار الخزرجيين إنهم أخواله، لأن سلمىٰ بنت عمرو أمُّ جده عبدِ المطلب كانت منهم، وهذا من كرم أخلاقه وبرّه وصلة رحمه ﷺ .

.. الإسلام والخالة !

قال البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الخالة بمنزلة الأم[2] .

جعل الخالة بمنزلة الأم، والكلام في صلة الأرحام وفي بر الوالدين، وهذا يدل علىٰ أن الخالة لها منزلة قريبة من منزلة الأم تستدعي البر،

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه الترمذي.

والقيام بمزيد من الحق والرعاية والصلة والإحسان إليها، فهي ليست مثلًا كالعمة، وإنما هي بمنزلة الأم، **لذلك كرم الاسلام الخالة علىٰ النحو التالي علىٰ سبيل المثال:**

1-الْخَالَةُ أَحَقُّ بِالْحَضَانَةِ مِنَ الْعَصَبَةِ:

قال النبي ﷺ : وَالْجَارِيَةُ عِنْدَ خَالَتِهَا فَإِنَّ الْخَالَةَ وَالِدَةٌ (1) وسبب الحديث في تنازع علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة ، وقضائه بها لجعفر لكون خالتها عنده..

وكان عبد الله بن الزبير ابن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ينادي خالته وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا أُمَّاهْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ(2) .

2- لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَىٰ عَمَّتِهَا وَلَا عَلَىٰ خَالَتِهَا:

قال الله تعالىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ ﴾ [النساء: 23]، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لاَ يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلاَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا(3) .

3-بر الخالة يقبل به التوبة ويغفر به الذنوب:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّىٰ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا كَبِيرًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَلَكَ وَالِدَانِ؟

قَالَ :لاَ.

قَالَ ﷺ : فَلَكَ خَالَةٌ؟

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) رواه البخاري ومسلم.

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَبِرَّهَا إِذًا[1] .

المصلية للقبلتين

** سلمىٰ بنت قيس النجارية : المصلية للقبلتين[2] .

** كونها مصلية القبلتين، لأنها صلت إلىٰ بيت المقدس في بداية الإسلام، لأن القبلة في بداية الإسلام كانت إلىٰ بيت المقدس، وهذه هي القبلة الأولىٰ

** تحولت القبلة بعد ذلك إلىٰ البيت الحرام تلبية لرغبة رسول الله ﷺ ، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة المباركة وبالتحديد منتصفها بعد مضي 16 شهرًا أو 17 شهرًا، وهذه هي القبلة الثانية، تكون بذلك مصلية القبلتين

طعامها شفاء:

** هذه الصحابية الكريمة حظيت بنفحات خاصة من الرسول الأكرم ﷺ ، فكان يخصها بالزيارة، ويأكل عندها، ويشير إلىٰ أنّ طعامها ذو بركة ونفع.

** دخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ علىٰ سلمىٰ بنت قيس ومعهُ عليٌّ رضي الله عنه ، وهو ناقِهٌ (أي متماثل للشفاء)، ولنا دوالٍ مُعلَّقةٌ (الدَّوال هي جمعُ دالِية، وهي العِذْقُ من البُسْر يُعَلّقُ، فإذا أرْطبَ أُكِلَ)

** فجعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يأكُلُ، ومعهُ عليٌّ يأكُلُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لعليٍّ: مَهْ مَهْ (أي اكفف) يا عليُّ فإنَّكَ ناقِهٌ (الناقه هو الذي أفاق

(1) رواه أحمد وابن حبان.

(2) حلية الأولياء.

من المرض ويبرأ منه وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته)، فجلَسَ عليٌّ والنَّبيُّ ﷺ يأكلُ،

** صنعت سلمىٰ بنت قيس لهُم شعيرًا وسلقًا (طبخت لهم سلقًا وشعيرًا، والسلق نوع من البقل) وجئت به ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ : يا عليُّ من هذا فأَصبْ (من الإصابة أي أدرك من هذا أو كل منه) فإنَّهُ أوفقُ لكَ (1)

.. فائدة

وهذا يدل علىٰ هديه ﷺ في الطب، فالدوالي هي عناقيد من الرُطب تعلّق في البيت للأكل، والفاكهة لا تصلح للناقه من المرض وذلك لسرعة استحالتها، وضعف الطبيعة عن دفعها، وفي الرطب نوع ثقل علىٰ المعدة فتشتغل بمعالجته وإصلاحه عمّا هي بصدده من إزالة آثار المرض.

فلما وضعت بين يديه السلق وهو نوع من الخضار الورقية والشعير أمره أن يأكل منه، فإنه من أنفع الأغذية للشخص الذي يتعافىٰ من مرض كان ألمّ به، ففي ماء الشعير تلطيف وتبريد وتغذية وتليين لا سيما إذا طُبخ بأصول السلق، فهذا الطعام من أوفق الأغذية لأصحاب المعدة الضعيفة.

قبول شفاعتها.

** بعد أن وافقت بنو قريظة النزول علىٰ حكم رسول الله ﷺ واختارت سعد بن معاذ ليحكم عليهم.

** أرسل رسول الله ﷺ إلىٰ سعد بن معاذ، وكان في المدينة لم

(1) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة.

يخرج معهم للجرح الذي كان قد أصاب أَكْحُلَه في معركة الأحزاب .

** أُركب سعد حمارًا، وجاء إلىٰ رسول الله ﷺ ، فجعل قوم سعد يقولون، : يا سعد، أجمل في مواليك، فأحسن فيهم، فإن رسول الله قد حكمك لتحسن فيهم، وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئًا، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم.

** لما انتهىٰ سعد إلىٰ النبي ﷺ قال للصحابة: (قوموا إلىٰ سيدكم)، فلما أنزلوه قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا علىٰ حكمك.

قال: وحكمي نافذ عليهم؟

قالوا: نعم. قال: وعلىٰ المسلمين؟

قالوا: نعم،

قال: وعلىٰ من هاهنا ؟ وأعرض بوجهه وأشار إلىٰ ناحية رسول الله ﷺ إجلالًا له وتعظيمًا.

قال ﷺ : نعم، وعلي .

قال سعد: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبي الذرية، وتقسم الأموال.

فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .

** أمر رسول الله ﷺ فحبست بنو قريظة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، وحفرت لهم خنادق في سوق المدينة، ثم أمر ﷺ بهم، فجعل يذهب بهم إلىٰ الخنادق أرسالًا أرسالًا، وتضرب في تلك الخنادق أعناقهم.

** قال من كان بعد في الحبس لرئيسهم كعب بن أسد: ما تراه يصنع بنا؟

فقال: أفي كل موطن لا تعقلون ؟ أما ترون الداعي لا ينزع؟ والذاهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل ـ وكانوا ما بين الستمائة إلىٰ السبعمائة، فضربت أعناقهم.

** هكذا تم استئصال أفاعي الغدر والخيانة، الذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب علىٰ إبادة المسلمين في أحرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم، وكانوا قد صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والإعدام .

** فعندما كان المسلمون ينفذون ما حكم به سعد بن معاذ عنه في بني قريظة ، كانت أم المنذر بقرب النبي ﷺ ترىٰ نهاية بني قريظة ، وكان رفاعة بن سموأل القرظي له انقطاع إليها ، وإلىٰ أخيها سُليط بن قيس وأهل الدار ، وكان رفاعة حين حبس أرسل إلىٰ أم المنذر، أن كلمي محمدًا ﷺ في تركي، فإن لي بكم حرمة ، وأنتِ إحدىٰ أمهاته ، فتكون لي عندكم يدٌ إلىٰ يوم القيامة.

** رأىٰ الرسول ﷺ علائم الحيرة مرتسمة علىٰ وجه أم المنذر، فسألها وقال: ما لكِ أم المنذر؟ قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، رفاعة بن سموأل كان يغشانا (أي يزورنا) ولنا به حرمة، فهبه لي.

وكان رسول الله ﷺ قد رأىٰ رفاعة يلوذ بها، فقال: نعم هو لك.

ثم قالت : يا رسول الله، إن سيصلي، ويأكل لحم الجمل، فتبسم ﷺ ثم قال: إن يصلِّ فهو خير له، وإن يثبت علىٰ دينه فهو شر له.

** أطلق رسول ﷺ رفاعة بن سموأل القرظي إكرامًا لأم المنذر سلمي بنت قيس النجارية، فأسلم وله صحبة.

✍ .. بأبي أنت وأمي يا رسول ا ، رفاعة بن سموأل كـان يغشانا فهبه لي :

الإسلام كرَّم المرأة وأعطاها حقوقها كاملة في جميع مجالات الحياة. حتىٰ حق حماية الرجل الكافر، وضمان الأمان له، فإذا أجارت المرأةُ المسلمةُ أحدًا، وجب علىٰ المسلمين احترام عهدها. وقد قامت عدد من النساء بالشفاعة والإجارة لكثير من غير المسلمين منها علىٰ سبيل المثال

1/ أُمّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ تجير رجلًا من المشركين:

ذهبت أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلىٰ رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستره بثوب، فسلمت، قال ﷺ : من هذه؟. فقالت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال ﷺ : مرحبًا بأم هانئ ،

فلما فرغ ﷺ من غسله، قام فصلىٰ ثماني ركعات ملتحفًا في ثوب واحد، ثم انصرف، فقالت: يا رسول الله ، زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ، قالت أم هانئ : وذلك ضحىٰ[1] .

2/ زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تجير أبا العاص:

أقام أبو العاص بن الربيع بمكة علىٰ شركه، وأقامت زينب بنت رسول الله ﷺ بالمدينة حيث فرق بينهما الإسلام، قبيل فتح مكة خرج أبو العاص بتجارة إلىٰ الشام بأموال من أموال قريش، فلما فرغ

(1)رواه البخاري.

من تجارته وأقبل قافلًا لقيته سرية لرسول الله ﷺ ، في جمادىٰ الأولىٰ في سنة ست من الهجرة فأخذوا ما في تلك العير من الأثقال وأسروا أناسًا من العير فأعجزهم أبو العاص هربًا.

لما قدمت السرية بما أصابوا أقبل أبو العاص من الليل في طلب ماله حتىٰ دخل علىٰ زينب ابنة رسول الله ـ ﷺ فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله إلىٰ صلاة الصبح فكبر وكبر الناس معه. فصرخت زينب رضي الله عنها : أيها الناس، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله ـ ﷺ من صلاته أقبل علىٰ الناس. فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟. قالوا: نعم. قال ﷺ : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء كان حتىٰ سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير علىٰ المسلمين أدناهم. ثم انصرف رسول الله فدخل علىٰ ابنته زينب فقال: أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له».

بعث رسول الله ﷺ إلىٰ السرية الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالًا، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به . قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه. فردوا عليه ماله(1) .

كل هذا دليل علىٰ أن الإسلام يكرم المرأة ويعتبر شفاعتها، هذه هي معاملة المرأة في هذا الدين، إنه يكرمها، ويساعدها ويشجعها علىٰ فعل الخير.

---

(1) سيرة ابن هشام.

بيعة الرضوان

** في السنة 6 للهجرة، حينما احتجز المشركون بمكة عثمان بن عفان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، ودعا الرسول ﷺ إلىٰ البيعة التي أمر الله بها.

** سارعت أم المنذر في ثلة من الصحابيات يبايعن علىٰ الموت، ونالت بذلك بشارة النبي ﷺ بالجنة عندما قال: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة(1) .

** من مناقب هذه الصحابية الجليلة، أنها أعلنت بيعتها للمرة الثانية مع رسول الله ﷺ ولذا سُميت «مبايعة البيعتين» وكانت هذه البيعة تحت الشجرة.

صاحبة التمر والرطب :

** خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهد بن ثعلبة، تزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامترَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا . وهو ممن شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

** راجعت خولة زوجها أوس بن الصامت بشيء فغضب فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم خرج الزوج بعد أن قال ما قال

** جلس أوس بن الصامت في نادي القوم ساعة ثم دخل عليها يريدها عن نفسها، ولكنها امتنعت حتىٰ تعلم حكم الله فيما فقالت: كلا والذي نفس خولة بيده، لا تخلصن إلي وقد قلت إلي ما قلت حتىٰ يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، فأتِ رسول الله فسَلْه عمّا صنعتَ!

فقال: إني لأستحيي منه أن أسأله عن هذا، فَأْتي أنتِ رسولَ الله ﷺ

(1) رواه البخاري.

عسىٰ أن تكسبينا منه خيرًا تفرّجين به عنّا ما نحن فيه ممّا هو أعلم به.

** واثب أوس خولة فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأةُ الشيخ الضعيف فألقته عنها، ولَبِسَت ثيابًا، ثمّ خَرَجتْ حتىٰ دخلتْ علىٰ رسول الله ﷺ في بيت عائشة فجلست بين يديه، فقالت: يا رسول الله إنّ أوسًا مَنْ قد عرفتَ، أبو ولدي وابن عمّي وأَحَبّ الناس إليّ، وقد عرفت ما يصيبه من الَّلمَم وعجز مقدرته وضعف قوّته وعيّ لسانه وأحقّ من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته، وأحقّ من عاد عليّ بشيء إن وجده هو، وقد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا، قال: أنت عَلَيَّ كظهر أمّي،

فقال رسول الله ﷺ : ما أمرنا في أمرك بشيء ما أعلمك إلا قد حرمت عليه،

** أعادت خولة الكلام وتبين لرسول الله ﷺ ما قد يصيبها وابنها إذا افترقت عن زوجها، وفي كل مرة يقول لها رسول الله ﷺ : ما أعلمك إلا قد حرمت عليه.

** هنا رفعت يديها إلىٰ السماء وفي قلبها حزن وأسىٰ، وفي عينيها دموع وحسرة قائلة: اللهم إني أشكو إليك ما نزل بي.

ثم بكيت وبكىٰ من كان معها من أهل البيت رحمةً لها ورقّةً عليها،

** أرسل رسول الله ﷺ إلىٰ أوس بن الصامت فأتاه فقال رسول الله ﷺ :«ماذا تقول ابنة عمّك؟»

فقال: صدقتْ، قد تظهّرت منها وجعلتها كظهر أمّي، فما تأمر يا رسول الله في ذلك؟

فقال رسول الله ﷺ : «**لا تدنُ منها ولا تدخل عليها حتىٰ آذن لك**».

** كان رسول الله ﷺ يغطّ في رأسه ويتربّد وجهه ويجد بردًا في ثناياه ويعرق حتىٰ يَتَحَدّر منه مثل الجمان؛ فإذا هو الوحي، قالت عائشة: يا خولة إنّه لينزل عليه ما هو إلاّ فيك،

فقالت: اللهمّ خيرًا فإنّي لم أبغِ من نبيّك إلَّا خيرًا،

** تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لما سُرّيَ عن رسول الله ﷺ حتىٰ ظننت أنّ نفسها تخرج فرقًا من أن تنزلَ الفُرقة، فَسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وهو يتبسّم فقال: يا خولة

قالت: لبيك! ونهضت قائمة فرحًا بتبسّم رسول الله،

فقال ﷺ : يَا خُوَيْلة، قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكِ وفِي صَاحِبِكِ قرآنا. ثم قرأ عليها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [المجادلة]. ثم بيَّن النبي ﷺ كفارة الظهار.

** قال رسول الله ﷺ : مريه فليعتق رقبة.

قالت : يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

قال ﷺ : فليصم شهرين متتابعين.

قالت: والله يارسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام.

قال ﷺ : فليطعم ستين مسكينًا ووسقًا من تمر.

قالت: والله يارسول الله وما ذاك عنده

قال ﷺ : مُريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وَسقٍ من تمر فليتصدق به علىٰ ستين مسكينًا وليراجعك.

قالت : وأنا يارسول الله سأعينه بعرق آخر.

فقال ﷺ : أصبت وأحسنت فأذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرًا ﷺ .

** نهضت خولة فرجعت البيت فوجدت أوس جالسًا علىٰ الباب ينتظرها فقال لها: يا خولة ما وراءك؟

قالت: خيرًا وأنت دميم، قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتي أُمَّ المنذر بنت قيس فتأخذ منها شطر وَسْق تَمْرًا فتصدّق به علىٰ ستّين مسكينًا.

** تقول خولة : ذهب أوس يعدو حتىٰ جاء به علىٰ ظهره وعهدي به لا يحمل خمسة أصوع، فجعل يُطعم مُدَّيْنِ مِنْ تمرِ لكلّ مسكين، وأعانته امرأته بعذق، وكان يقول: لولا خولة هلكت.

إطعام الصحابة

يقول سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كانت منّا امرأة (أيْ أُمَّ المنذر بنت قيس) تجعل (أي: تزرع) علىٰ أربِعاء (بكسر الموحدة، جدول أو ساقية صغيرة لسقي الزرع) مزرعة لها سِلقًا، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق، فتجعله في قِدْر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عرقه(أي: أصول السلق عوض اللحم).

** قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرّب ذلك الطعام إلينا، ليس فيها شحم ولا ودك وكنا نفرح بيوم الجمعة(1).

✍ .. قف وانتبه جيدا

من حكمة الله تعالىٰ في خلق البشر أنه جعلهم يحتاجون إلىٰ سدِّ أفواههم، وملء أجوافهم، وتسكين جوعهم بالطعام، إن الله تعالىٰ

(1) رواه البخاري وابن حبان.

حين خلق البشر وجعل الطعام قوامًا لهم، وسببًا لاستمرار حياتهم؛ رزقهم أنواع المآكل ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ [عبس] .

ولما هاجر إلىٰ المدينة كان أول خطاب له ﷺ فيها فيه ذكر الطعام؛ إذ قال في مقدمه للمدينة: يا أَيُّهَا الناس أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بالليل وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ [1].

لذا ففوائد اطعام الطعام كثيرة وعوائدها في الدنيا والآخرة لا تعد ولا تحصىٰ، منها الفوز برضوان الله ـ عز وجل ـ وعونه، والنجاة من النار، ودخول الجنة، وإنها خير الاعمال، لأنه من قيم الإسلام الفاضلة إطعام الطعام، وإشباع الجائع والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين وغيرهم .قال رسول الله ﷺ : من موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين[2]. ويقول ﷺ : من أطعم أخاه حتىٰ يشبعه وسقاه من الماء حتىٰ يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة سنة[3].

وقال ﷺ : «**خياركم من أطعم الطعام**» [4]

فالصدقة تقي من حر جهنم، وهي تطفئ غضب الرب، فعن عدي ابن حاتم قال: قال ﷺ : يقي أحدكم وجهه حر جهنم ولو بتمرة ولو بشق تمرة، فإن أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لأحدكم: ألم أجعل

---

(1) رواه الدرامي.

(2) رواه الحاكم.

(3) رواه الطبراني.

(4) رواه ابن حبان .

لك سمعًا وبصرًا؟! فيقول: بلىٰ، فيقول: ألم أجعل لك مالًا وولدًا؟! فيقول: بلىٰ، فيقول: أين ما قدمت لنفسك؟! فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله، ثم لا يجد شيئًا يقي به وجهه حر جهنم، ليقي أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة. أي: أن إطعام الطعام أو الصدقة تقي الإنسان حر جهنم، وتكون له حجابًا من النار[1] .

(1) رواه البخاري ومسلم.

المراجــع

1- السيرة النبوية .. عبد الملك بن هشام .. تحقيق: مصطفىٰ السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي .. شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر.

2- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج .. أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي .. دار إحياء التراث العربي – بيروت .

3- الاستيعاب في معرفة الأصحاب .. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر.. المحقق: علي محمد البجاوي .. دار الجيل، بيروت .

4- نيل الأوطار .. محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني .. تحقيق: عصام الدين الصبابطي .. دار الحديث، مصر.

5- فتح الباري شرح صحيح البخاري .. أحمد بن علي بن حجر .. دار المعرفة – بيروت.

6- شرح صحيح البخارىٰ لابن بطال .. ابن بطال أبو الحسن .. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم .. مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.

7- الإصابة في تمييز الصحابة .. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض .. دار الكتب العلمية – بيروت.

8- سير أعلام النبلاء .. شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي ..

المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.. مؤسسة الرسالة.

9- دلائل النبوة .. أحمد بن الحسين بن علي البيهقي .. المحقق: د. عبد المعطي قلعجي .. دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.

10- زاد المعاد في هدي خير العباد .. ابن قيم الجوزية .. مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

11- أسد الغابة في معرفة الصحابة .. أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ..المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود .. دار الكتب العلمية.

12- قصص وعبر وعظات من سيرة الصحابيات .. أبو أنس ماجد البنكاني .. كتاب إلكتروني.

13- نساء حول الرسول ﷺ د بسام محمد حمامي .. دار دانية للطباعة والنشر .. دمشق .. سوريا .

14- محمد رسول الله والذين معه .. عبدالحميد جودة السحار .. مكتبة مصر .. القاهرة.

15- فقة السيرة .. منير محمد غضبان .. جامعة أم القرىٰ .. السعودية.

16- السيرة النبوية .. د علي محمد الصلابي .. دار ابن كثير .. دمشق سوريا.

17- الرحيق المختوم .. صفي الرحمن المباركفوري .. وزارة الأوقاف .. قطر.

18- أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم .. عبدالحميد طهمار .. دار القلم .. دمشق.

19- مختصر سيرة الرسول .. محمد بن عبد الوهاب: ، تحقيق عبد الرحمن بن ناصر البراك وغيره، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

20- الفروسية .. ابن قيم الجوزية: ، تحقيق مشهور بن حسن، دار الأندلس، السعودية.

21- بنات الصحابة .. أحمد خليل جمعة .. دار اليمامة للطباعة والنشر ..

22- تنوير المؤمنات .. عبد السلام ياسين .. دار البشير للثقافة والعلوم بطنطا، مصر.

23- مواقع علىٰ الإنترنت كثيرة ومتنوعة .

الفهرس